لويس ماسينيون

المتنبي

بإزاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام

ترجمة وتعليق ودراسة

د. إبراهيم عوض

١٩٨٨

لويس ماسينيون

المتنبي

بإزاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام

ترجمة وتعليق ودراسة

د. إبراهيم عوض

١٩٨٨

مكتبة لسان العرب

مع تحيات أ. علاء الدين شوقي

الإهـــــداء

إلى الأستاذ سـيد أحمـد أبو ريـة (بطنطا) ، بمناسبة بلوغـه سن المعـاش ، تكريمـا لـه لقـاء مـا علـم وأدب وربى ، أستاذا فوكيلا فمفتشا فى حقل التربية والتعليم . أطال الله عمره ، ومتعه بالصحة والرضا ، وأسعده بأهله وأولاده .

مع خالص تحياتى ومو داتى ؟

إبراهيـم عـوض

تلميذه القديم بالأحمدية الثانوية بطنطا

عـام ٦٥ ــ ١٩٦٦

www.books4all.net

« دعـــــاء »

اللهــم من ظلمنى فعليك به يا جبار السماوات والأرض ٠ اللهم تول ، بما ترى ، يداً بخستنى حقى ، ولسانا وسوس بالشر صدى بغير حق وزينه وحث عليه،وفما خرس عن قولة الحق وهو يقدر ويعلم ولكنه آثر الابتهاج بالظلم والتلذذ الآثم به ٠ اللهم إنى أحتسب هذا الظلم عندك يا أكرم الأكرمين ، فكفر به عنى سيئاتى ، وزد حسناتى ٠ ولك العتبى حتى ترضى ٠ ولا حـــول ولا قـــوة إلا بك ٠

مدونة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
مع تحيات أ. علاء الدين شوقي

بســم الله الرحمن الرحيم

منذ أكثر من سنة وأنا أبحث عن هذه الدراسة عن المتنبى للمستشرق الفرنسى لويس ماسينيون (التى أقدمها للقــارىء مترجمة إلى العربية) • وأخيرا قدر لى أن أجدها وأنا أراجــع تجارب الطبــع للصفحات الأخيرة من كتابى « لغــة المتنبى ــ دراسة تحليلية » • وكنت فى الهامش / ٥١ فى صفحة / ٢٨٦ من هذا الكتاب قد اعتمدت على كتاب د• شوقى ضيف « الفن ومذاهبه فى الشعر العربى » فى عرض رأى المستشرق الفرنسى فى بيت المتنبى المشهور :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهــلال

فانتهزت الفرصــة ، ونصصت على موضــع رأى ماســينيون فى دراسة ماسينيون نفسها • ولكنى قلت لنفسى : إن هــذه الدراسة جديرة بالترجمة إلى العربية ودراستها دراسة مستقلة مفصلة ، لخطورة النظرية التى تحتوى عليه • وبالفعل ترجمتها ، وكتبت عنها الدراسة الملحقة بها ، وأرجو أن يكون عملى هذا نافعا لدارسى الأدب العربى ، ودارسى شعر المتنبى وشخصيته بوجه خاص •

والحقيقة أن صاحب الفضل فى العثور على هذا النص هو

الأب « جان مارى ميريجور » المسؤول عن مكتبة دير الآباء الدومينكان بالعباسية ، فهو الذي ما إن علم برغبتى فى الحصول على هذا النص (وكانت أول مرة يرانى فيها ، وكان ذلك منذ عدة أسابيع) حتى أخذ يدور معى فى أنحاء المكتبة بين الفهارس والكتب يبحث عن الكتاب الذى يمكن أن توجد فيه هذه الدراسة، ولكننا فى ذلك اليوم لم نوفق إلى شيء . ثم فوجئت بأحد طلبة الدراسات العليا بآداب عين شمس (قسم التاريخ ، وهو السيد / عزت عبد الحق ، الذى يتردد على المكتبة المذكورة كثيرا) يرسل إلى النص الفرنسى مصورا ، ويخبرني أن الأب ماريجو قد وجده بعد بحث وتقص طويلين وصوره لى (وجده الأب الفاضل فى :

Recherches et Documents

Louis Massignon, OPERA MINORA

Textes recueillis, classés et presentés avec une bibliographie par Y. Moubarac, sous le patronage du Centre d'Etudes Dar El-Salam, Tome I.

Dar Al-Maaref — Liban, 1963, pp. 488 — 498

وكان قد نشر قبلا في :

Mém. de l'Inst. Fr. de Damas, 1935, pp. 1 — 17.

وعنوانه :

(Mutanabbi devant le siècle ismaélien de l'Islam)

ولا يقف فضل الأب ميريجو عند هذا ، بل إنى راجعت معه

عددا من التعبيرات الماسينيونية ، ودارت بيننا مناقشات مطولة حول بعض أفكار المستشرق الفرنسي كان يبدى فيها استغرابه عندما كنت أخبره أن ماسينيون قد أصدر هذا الحكم أو ذاك من غير أن يذكر مصدرا أو مرجعا أو بنـــاء على عبـــارة طائرة امتلخها من سياقها •

كذلك ينبغى أن أشكر د• هدى وصفى (الأستاذة بقسم اللغة الفرنسية بآداب عين شمس) ، التى كنت قد راجعت معها بسرعة بعض العبارات المذكورة •

والحمد لله أولا وآخرا ؟

إبراهيـــم عـــوض

١٩٨٧/١١/٢٢

منتدى سور الأزبكية
www.books4all.net

لويس ماسينيون

« المتنبى بإزاء القرن الإسماعيلى فى تاريخ الإسلام »

إن النصوص التى كتبهـا بالعربيـة طائفـة من المؤلفين الإسماعيليين القـدماء والتى عثر عليهـا مؤخـرا الأستاذان إيفانوف والهمدانى (١) فى مدينتى سورات وبومباى الهنديتين من شأنها أن تساعدنا على أن يكون فهمنا أفضل للوجه المزدوج للقرن الرابـع الهجرى ، الذى يسميه متز عصر « النهضـة » الإسلامية . أما أنهـا كانت نهضة فى الفلسفة والعلوم القديمـة فذلك مما لا شك فيه (ولكن باستثناء الفنون) ، مع تلوين جديد (وعلى نحو أعمق) للشعور الدينى الإسلامى ، الذى أسخطته وأيضا شرهته لدرجة التجديف (أو الخروج عن حدود الدين ذاته) عقيدة مهدوية اجتماعية نبعت من تلك الصيغة الثـورية للمذهب الشيعى المعترف به ، تلك الصيغة التى يطلق عليهـا اسم « المذهب الإسماعيلى » .

إن القرن الرابع الهجرى ، الذى يبـدأ بإعلان الخلافة الفاطمية فى المهدية ، والذى ينتهى بانتشار دائرة المعارف التى وضعها « إخوان الصفا » بهدوء وفى صمت ، يمكن جدا أن نطلق عليه « القرن الإسماعيلى » فى تاريخ الإسلام . وفى ذلـك

---

(١) V. Ivanow, A Guide to Ismaili Literature, R.A.S., Londres, 1933; H.F. Hamdani, J.R.A.S., Londres, 1933, 359 — 378 ; A.A. Fyzee, J.R.S. Bombay, 1935, 59 — 65.

الوقت كانت الدعاية التى تقوم بها الجمعيات القرمطية السرية من أجل اكتساب أتباع جـدد ، والتى انطلقت من مركزها فى الكوفة وتغلغلت فى جميع أرجاء الإمبراطورية العباسية ، تعاصر على الدوام العاصمة بغـداد ، حيث تتالت عمليات إعـدام « المتآمرين » القرامطة ، ابتداء من إعدام مهدى سنة ٢٩٠ هـ وكذلك إعدام الحلاج فى سنة ٣٠٩ . وها نحن أولاء الآن قد أصبح بحوزتنا وثائق كتبها مؤلفون إسماعيليون وقرامطة عن أبنـاء مذاهبهم ، مما يسمح لنا بتتبـع تسرب أفكارهـم إلى الفكر الأدبى العربى فى ذلك العصر .

وقبل ذلك ، كان النقد الأدبى ، بالنسبة لأعمال أبى العلاء المعرى ، يأتى قبل اكتمال الحقائق المتعلقة بهذه الأعمال ، إذ إن هؤلاء الذين استطاعوا الاطلاع على كتاب « المجالس » الذى اكتشف مؤخرا لأستاذه وصديقه المؤيد السلمانى الشيرازى (٢)، الذى لم يكن شخصا آخر سوى الداعية الإسماعيلى الكبير ، يعرفون أن المرارة الارتيابية التى تنضح بهـا « اللزوميات » و « رسالة الغفران » لا يصح النظر إليها بوصفها سمة فردية ، بل بوصفها شاهدا على تفتـح بذور الشـك المنهجى والتهكم التمـردى اللذين كانت تتضمنهما التعاليـم الدعائية السريـة للجمعيات الفكرية الإسماعيلية فى مثل هـذه التـربة النفسية المواتيـة .

---

(٢) H.F. Hamdani, J.R.S., Londres, 1939, 129.

ونفس الأمر بالنسبة للمتنبى ، فإن مؤرخ الأدب لم يعد بإمكانه أن يهمل ذلك التهور الذى أقدم عليه الشاعر فى شبابه وقبض عليه أثناءه بوصفه « متنبئا » ، هذه المغامرة التى يقلل منها من شأنها إلى أقصى حد ، متابعا فى ذلك النهشلى . أما بلاشير فقد انتهز الفرصة وعارض هذا الرأى فى مقالته عن « المتنبى » بدائرة المعارف الإسلامية . وهذا هو التصحيح الذى أريد ، من وجهة نظر التاريخ الاجتماعى والدينى ، أن أبرزه وأوسعه ، وذلك من خلال تجميعى بعض الملاحظات فى موضوعين أساسيين : ١ — أن المتنبى الذى ولد فى بيئته يمنية شيعية فى الكوفة ، قد تشكلت شخصيته فى تلك المدينة وفى الصحراء فى محيط قرمطى تحديدا . ٢ — وأن هذا القرمطى القديم ، برغم فشله كثائر بدوى ، لم يستسلم تماما قط أو يتأقلم كلية مع المذهب الشيعى المحافظ الذى كان يعتنقه الأمراء وحماة الأدب الحمدانيون فى الشام . وبالنسبة لحياته فى المدن ، فإن هذا البدوى المترحل الذى ظل قلقا فى هذه البيئة الجديدة ، والذى اضطر إلى بيع قصائده (٣) للأمراء والأعيان يمتلىء شعره بتطاول شديد واعتزاز بالنفس ومرارة ميتافيزيقية مغرقة فى إسماعيليتها (٤) .

---

(٣) الديوان (ط . دار صادر / بيروت / ١٩٠٠) / ٤٣٧ .
(٤) انظر « مناجيات » الخليفة الفاطمى المعز (من مجموعتى/ ٢١٧) . ويلاحظ أيضا الألقاب العربية الجاهلية (مثل « معد » و « نزار ») التى كان يتسمى بها الحكام الفاطميون .

١ ـ الكوفة ، البيئة الأسرية الشيعية

والدور الكبير لبنى كلب

فى انتفاضات القرامطة بالصحراء

إن دراسة الأوساط الاجتماعية بالكوفة التى لابد منها لفهم القرون الثلاثة الأولى من الإسلام العربى قد شرعت تعطى للباحثين بعض النتائج (٥) . ولنلاحظ ، فيما يتعلق بالمتنبى ، أن الحى الذى ولد فيه فى تلك المدينة هو حى « كندة » (٦) ، وأن « جعفيا » وهى القبيلة التى ينتمى إليها أبوه عبدان السقاء ، كانت مرتبطة أشد الارتباط بأئمة الشيعة (٧) ، علاوة على أن جدته ، وهى الوحيدة من أسرته التى رضى أن يذكرها فى

---

(٥) مثل التنقيبات التى بدأت فى الحيرة (Talbot Rice, G. Reitlinger 1932) ، وبحثنا "Explication du plan de Kufa" (مع ثلاث خرائط) Ap. Mélanges Maspero, t. III, le Caire, 1935, pp. 337 — 360.

(٦) وكان حيا مكونا من ثلاثة آلاف بيت ، ما بين رواء ولعماع ، كما يقول البغدادى فى « خزانة الأدب » ٣/٢٠٢ .

(٧) قدمت « جعفى » اربعة زعماء متوالين للشيعة المتطرفين بالكوفة ، وهم : جابر ، ومفضل وابنه محمد ، وعمر بن الفرات انظر بحثنا :
Origines Shi'ites de la famille vizirale des Banu'l Furàt, ap. Mélanges Gaudefroy - Demombynes, le Caire, 1935, p. 2.

شعره (٨) ، كانت ، بشهادة أحد العلويين الذى هو مرجعنا الوحيد بالنسبة لهذه الفترة ، « من صلحاء الكوفة » ، من همدان (وربما من بطن « السبيع » من هذه القبيلة) ، تلك القبيلة المتأججة فى شيعيتها ، والتى جرؤت نساؤها على أن يندبن الحسين فى السنة التالية مباشرة لوفاته (٩) . وإذا كان المتنبى ، لأسباب معينة (١٠) ، لم يتحدث إلا فى الندرة عن ذويه ، فإنه كان يفتخر بأنه « يمانى » (١١) .

وسوف نجد فى تخطيطنا (للكوفة) الأحياء الأخرى التى ورد ذكرها فى أشعاره ، وهى : بارق ، والسكون (أو الكناس) ، والثوية (١٢) . وقد اتسم التشيع بين أصحاب الحرف الصغيرة

---

(٨) وذلك فى مرثية خاصة : الديوان / ١٤٣ ، وشرح العكبرى /٢/٣٤٤ .

(٩) انظر Explication du plan de Kufa, p. 360 ، وكذلك الديوان / ٧٤ .

(١٠) وهى انتسابه غير الشرعى (من قبل أمه) إلى الفاطميين، وهو ما يفسر كثيرا من الأمور ؛ وقبوله فى نفس المدرسة العلوية بالكوفة ، مثله مثل أولاد الأشراف العلويين (خزانة الأدب /٢/ ٣٠٣) ؛ واحتقاره لمكانة عبدان (وهنا ملاحظة عابرة ، هى أن هذا الاسم يجانس اسم الداعى القرمطى بالاحساء) ؛ والأهمية المقصورة ، فى رأيه ، على الانضمام إلى الجماعات السرية .

(١١) وذلك فى قوله : « أن كل كريم يمانى » . الديوان / ٢٦ ، والعكبرى /٢/٤٠٣ .

(١٢) ap. " explication du plan du Kufa" 1. C. وسوف يعود للحياة فيها من ٣٥١ إلى ٣٥٣ هـ (هناك خمس قصائد نظمت فى الكوفة) . ـ الديوان / ٧٤ ، ٣٢٦ (اسمان) ،

بالكوفة بالثورية والدعوة إلى المساواة . وكانت إحدى الفرق المتطرفة التي أصبحت معرفتنا بها الآن أفضل كثيرا ، وهى فرقة « الخطابية » ، قد نجحت فى إنشاء حركة واسعة سرية لاكتساب الأتباع الجدد ، انتشرت من الكوفة إلى سائر المدن الكبيرة ، وذلك بفضل أصحاب الحرف : وهى المؤامرة القرمطية ، أو بتعبير آخر المؤامرة الإسماعيلية ، التى كانت قد انتقلت منذ عام ٢٨٠ هـ إلى العمل المباشر ، وإلى الثورة التى اخترقت الكوفة خمس مرات (فى أعوام ٢٩٣ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣١٩ ، ٣٢٥ هـ) ، وذلك اعتمادا على اتخاذها « دارى هجرة » عسكريتين على طرف بادية السماوة : الأولى فى الشرق ، على مشارف الكوفة (وقد تكون ، كما يقول موزيل ، هى قصر الأخيضر الحالى) ، والثانية فى الغرب ، على مشارف حمص ، فى ناحية سلمية (أى فى جبل الأعلى) [13] . ولنلاحظ الآن أن هذه الأخيرة كانت تعتمد على فخذ من قبيلة كلب ، وهم بنو عدى ، الذين ، بتوجيه من بنى عليص بن ضمضم ، قد أقسموا فى عام ٢٨٩ ألا يألوا جهدا ، ما بقى فيهم نفس يتردد ، فى نصرة الدولة الفاطمية المستقبلة ، جارين معهم أبناء عمومتهم بنى الأصبغ [14] ، الذين

والعكبرى / ٣٩٨ ، والبديعى (على هامش العكبرى) /١/ ٣٠ ، و « الوساطة » (ط . الزين / ١٩١٣) / ٤١١ .

(١٣) وهو معقل الدروز فى القرن السادس عشر .

(١٤) الطبرى /٣/ ٢٢١٨ ، و
Wüstenfeld, G.T., pl. 2, / Lignes 27 et 34

كادت أن تقضى عليهم فى عام ٢٩٥ خمس سنوات من القمـع الدموى • وعلى حين أن آخـر من تبقى من الزعماء ، وهـو عبيد الله (الذى ولـد فى ٢٥٩ هـ ، فى سلمية) ، قـد فر إلى إفريقية ، فإنهم سوف يثورون من جديد فى ٣١٨ هـ (١٥) • ونفس بنى عدى هؤلاء هم الذين سيجرون قبيلة كلب الى الوقوف مع المتنبى فى ٣٢٦ هـ (١٦) ، وينجحون فى اثارة حلفائهم فى هـذه المنطقة حتى اللاذقية • ونحن الآن مضطرون إلى الإقرار بأن ذلك الصبى قد زكى لهم ، بناء على أسباب وجيهة ، سواء كانت هذه الأسباب هى الصـلة الأسرية أو التحـول إلى المـذهب الإسماعيلى (١٧) ، من قبل زعماء هذا المـذهب ، الذين كانوا حينذاك هم الرؤوس المدبرة للمؤامرة الفاطمية •

وبالنسبة لشيعة ثوريين يؤمنون بالمساواة كالقرامطة فقد كانت الصلة الأسرية الحقيقية هى الدخـول فى المذهب (هو « النكاح » الصحيح) • لقـد كان أبو الخطـاب يسمى « أبا

---

(١٥) عريـب / ١٤٦ •

(١٦) الديوان / ٤١ ، والعكبرى /٢/٣٠٧ • ويبدو لنا أن التاريخ الذى حدده بلاشير ، وهو ٣٢٢ هـ ، سابق على هذا التمرد ، وأن اسم والى حمص لا يحتم علينا قبوله •

(١٧) يظن الاستاذ بلاشير أن الذى دعاه وحوله إلى المذهب الإسماعيلى هو شخص اسمه ابو الفضل (انظر فى هذه الكنيـة : الطبرى /٣/٢٢٣٨) يلقب بـ « المتفلسف » (خزانة الآدب /١١/ ٣٠٤) •

إسماعيل » ، أى الأخ الأكبر للإمام جعفر (١٨) ، وبالعكس ، فعلى حسب العقيدة الباطنية التى هى عقيدة الدولة الفاطمية ، فإن هذه الدولة لا تنحدر ، إلا « روحيا » ، من الإمام محمد ابن إسماعيل ، الذى حول إلى المذهب الإسماعيلى سلفها عبدالله ابن ميمون القداح ، المتوفى فى سجنه بالكوفة نحو ٢١٠ هـ (١٩). وقد اكتسب ميمون هذا ، بانضمامه إلى المذهب الإسماعيلى ، نوعا من الإلهام ، أقصد : وعيا غير نابع من ذاته بأسرار الكون ، كان ينقله وهو لا يزال على الأرض ، إلى الحياة الآخرة، التى يؤكد القرامطة أن نعيمها من نوع عقلى خالص غير محسوس . ومن هنا تلك العنجهية التى تميز هؤلاء ، والتى لا أتردد فى أن أربط بينها وبين العنجهية التى أجمع النقاد على شجبها فى المتنبى . وإذا كانت هذه العنجهية قد طعمت فى البداية بالعنجهية السلالية العربية ، وإذا كانت قد اختلطت عنده بمبالغة الفنان ، فإنها فى أعماقها تشى بيقين غير تابع من ذاته ، يقين مذهبى ، هو يقين الشخص اللا أدرى ، الناتج من المعرفة الممزوجة بالمرارة والتعالى لدى المتحول الذى لقن أن الأديان نسبية ، وهذه آخر درجة فى القرمطية ، مما لم ينسه المتنبى قط ، كما سنرى بعد قليل .

---

(١٨) cf notre "Salman Pàk" (N° 7 des "Etudes Iraniennes", Paris, 1933, p. 19, n. 4).

(١٩) قارن « الكشف » للجوبرى (مخطوط بباريس تحت رقم / arabe 4640) / ورقة ١٠ ب H.F. Hamdani, ap. DI. XX, 293, 296.

وإلى جانب المبالغات التقليدية (أقصد الاتهام بممارسة السيمياء ، أى استغفال العوام بالخدع اليدوية اليمنية ، التى تسمح بالتحكم فى سقوط المطر ، وترويض الناقة الصعبة ... إلخ) ، فإن المطاعن الموجهة للمتنبى تشير بقوة إلى قرمطيته : إن ادعاءه أولا أنه علوى ، أى القائم « الذى سيملأ الأرض عدلا » ، ثم بعد ذلك أنه « نبى مرسل » مزود بقرآن جـديد ، يعنى أن المتنبى ككل « السينية » أو « السلمانية » ، كان يرى ويدعى لنفسه الحق فى ضم المتحولين الجدد عن طريق روح النبوة ، مما يلغى فى نفس الوقت الامتياز الوراثى للعلويين ، والمكـانة السامية الخاصـة بمحمـد بوصفـه متلقى الوحى القرآنى (٢٠) .

وبمـا أن المتنبى ، فى الواقـع ، لـم يخرج من السجن (٣٢٧ هـ) إلا بعد أن استتيب كتابة ، ومن هنا تحرزه بالنسبة للموضوعات الدينية فى جميع أشعاره (بل إنه أيضا لم يذكر عليـا (٢١) ، على عكس أبى فراس (٢٢) ، وهو ما لامه عليـه

---

(٢٠) قارن البديعى (مطبوع على هامش العكبرى) / ٢٦ ، ٣٤ ، والعكبرى /٢/٣٠٧ ، و « الوساطة » / ٤١٢ بكتابنـا "Passion d'al Hallàj" / ٥٧ ، ٧٢ . وفى « السينيـة » انظر كتابنا "Salmàn Pâk" / ١٩ ـ ٣٦ . وفى فريـة مسبقة ، انظر "Passion" / ٢٠٩/هـ٣ .

(٢١) الوساطـة / ٤١٤ .

(٢٢) ديوان أبى فراس (ط / ١٣١٧ هـ) / ٤٥ .

حماته الحمدانيون ، وهم من الشيعة المحلفظين المتعصبين) ، فإن بعض أشعاره هنا وهناك تفضح القرمطى القديم • وإن الغلو المفرط الذى كان ينساق إليه من تلقاء نفسه فى تمجيد أى مدوح له ليذكرنا بالتهكم اللاذع للرسالة الهجائية المسماة "de tribus impostoribus" (٢٣) ، وكذلك هذه السخرية بالإسلام : « لبرئت حينئذ من الإسلام » ، وحواء :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو
عقمت بمولد نسلها حواء

والمهدى ، وموسى (٢٤) ، وعيسى :

لو كان صادف رأس عازر سيفه
فى يوم معركة لأعيا عيسى (٢٥)

وهذا البيت الأخير يكشف عن قرمطيته القديمة ، فإن السنى بل حتى الشيعى المعادى ليجهلان اسم عازر • والقرامطة

---

(٢٣) الديوان / ١٢٣ • وعن الأصل القرمطى لهذه الرسالة الشهيرة التى ظهرت فى القرون الوسطى ، انظر :
BHR. Paris, 1920

(٢٤) الديوان / ٣٦٠ ، والعكبرى /٢/١٨٤ ، والديوان / ٣٥٧ ، والعكبرى /١/٢٦٩ ، و « الوساطة » / ٨٢ ، والديوان / ٤٧ •

(٢٥) الديوان / ٤٧ ، والعكبرى /١/٣٦١ •

وحدهم هم الذين أخذوه ليسندوا إليــه دورا فى عقائدهــم .
(انظر كتاب التعاليم الدرزية ، ٨٧) .

وقد تحدث المتنبى فى ثلاث قصائد عن قرامطة البحرين :
وفى الأولى ، وهى تتحدث عن مذبحــة الحجيج ، التى نشرت الفزع فى أرجاء العالم الإسلامى ، نلاحظ اعتدال لهجة اللوم ، واستخدام المصطلحات الدقيقة (مثل كلمة « شيخ » لزعيمهم ، وكذلك الوصف الدقيق لعقيــدة « النواحــل » التى استبدلت بــ « الفرائض ») . وفى الثانية يبدو أنه يثنى على شجاعتهم .
أما الثالثة ، التى يتحدث فيها عن القائد الذى هزمهم ، فهى شديدة الإيجاز (٢٦) .

بل إن المعجم الشعرى للمتنبى يحتوى ، رغم تراكيبــه التقليديــة الجميــلة ، على بعض العبــارات الشائعة عنــد الإسماعيليين : اثنتان منها من إخوان الصفا (وهما : « قدس الله روحه » ، و « الفلك الدوار ») (٢٧) ، ولفظة « الثقلان » (القرآن والعترة ، وليس الجن والإنس) (٢٨) ، وربما ثلاث

---

(٢٦) الديوان / ٣٠ ، ١٨٤ ، ٣٥٧ (وقــارن بالديوان / ٤٤٠) .

(٢٧) البديعى /١/١٦٩ ــ ١٧٠ ، والعكبرى /٢/٤٤١ .

(٢٨) الديوان / ٤١ ، والعكبرى /١/١٢٠ ، وذلك حديث « الثقلين » المشهور « الينابيع » للقندوزى) .

أو أربع أخرى (٢٩) ، وهو جانب لم يلتفت إليه شراح الديوان ، رغم ما فيه من جديد لمن يبحث ويكتشف . وعلى هذا فعندما يصرح المتنبى (٣٠) بأنه لا ينبغى أن توضع الشمس (وهى مؤنثه) فى مرتبة أدنى من الهلال (وهو مذكر) ، فإنه يسترجع الخلاف القديم بين شيعة الكوفة حول أفضلية « الميم » (التى ترمز إلى محمد ، وهو الشمس) أو « العين » (التى ترمز إلى على ، وهو القمر) (٣١) ، بهدف حسمه لصالح التفسير الذى تقدمه « ميميات القرامطة » . وفى علم الفلك الشيعى فإن

---

(٢٩) كلمة « المهدى » (الديوان / ٤٥٦) ومرادفاها : « القائم » (الديوان / ٣٥٧) و « الخلف » (الديوان / ٤٢٤) ، ومصطلح « البداء » (وهو ، فى العقيدة الشيعية ، رجوع الله فى مشيته [« الانتصار » للخياط / ٦ ، و « الغيبة » لابن باهويه / ٤١ ، ٦٣ ، و « المقالات » للأشعرى / ٣٩ ، ٤٧٨ ، ٤٩١ ــ ٤٩٢ ، و « الفرق » للنوبختى / ٥٥ ، ٥٩ ، ٦٢ ، والشهرستانى / ١ ١٩٧ ــ ١٩٨] ــ الديوان / ١٠٥ ، والعكبرى /٢/٣٤٤) ، و « الخميس » : الجيش (الديوان / ٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٦ ، وديوان ابى فراس / ١٤٦ [شرطة الخميس « اى الحرس الإمبراطورى لعلى . انظر « المنهج » للاسترابادى / ٤١٨]) ، و « عنقاء مغرب » (الديوان / ٣٩٩) ، و « كوفان » (الديوان / ٣٥٧ ، بدلا من « الكوفة » ، و « كوفان » هو اسمها فى « ملحمة سلمان » ، وصيغة « سلسال بالسف (الديوان / ١٠١) ، وهو ما يسمح ، بحساب الجفر ، بوضع المعادلة الآتية : س + ل + س + ا + ل = س + ل + م + ١ + ن = ١٨١ . انظر كتابنا "Salmàn Pàk" /٤٣/هـ٣ ، وعبارة « جاء نيروزنا » . انظ Hallàj, ap. Passion, 97 (الديوان / ٤٤٧) .

(٣٠) الديوان / ٢٢١ ، والعكبرى /٢/٢٧ .

(٣١) cf. Salmàn Pàk, 36

« الشمس » تعنى « محمداً » ، و « القمر » علياً ، و « الزهراء » فاطمة ، و « الفرقدين » الحسن والحسين (٣٢) .

وأخيرا فإن دعاءه ، فى أوائل حياته الشعرية ، الذى يقول فيه : « أيا خدد الله ورد الخدود » (٣٣) ، يذكرنا باسم من أسماء الله غير مألوف ، إذ لا يوجد إلا فى « الخطبة الططنجية » (٣٤) المعروفة لغلاة الشيعة ، وهو « مخدد الأخدود » .

---

(٣٢) على بن الوليد / دافع الباطل (وهو رد على الغزالى) / ١١ / ٥٠٥ وما بعدها .

(٣٣) الديوان / ٤٢ .

(٣٤) مخطوط Paris 5118 f. 94 . وهذه الخطبة سابقة على سنة ٣٠٠ ، إذ قد اتهم الصولى الحلاج بسرقة عبارة أخرى منها ، ونصها : « أنا مهلك عاد وثمود » / عريب / ٩١ .

٢ ـ الثقافة الحضرية فى الدولة الحمدانية بالشـــــام

لقد اجتذبت المتنبي صداقاته البدوية (والقرمطية) حتى أوصلته إلى الأوساط الحضرية الشامية ، وهى علاوة على ذلك مدن ظل الشيعة فيها أغلبية حتى عصر الحملات الصليبية ، مثل اللاذقية وأنطاكية وحلب وطبرية (٣٥) • وقد كان من الطبيعى ، بعد خروجه من السجن مستسلما للهدوء وعــدم العــودة إلى الثــورة ، أن يتصل بأولئـــك الشيعة المحافظين الذين تتوافق آمالهم المغرقة فى المثالية فى تولى العلويين الحكم مع مرتباتهــم الطائلة وخدمتهم لدولة بنى العباس السنية • ومن ناحيـــــة أخرى فقد كان هؤلاء الأدباء والأمراء واسعى الثقــافة ، مولعين بالعلوم الهلينية ، والمنطق منهــا بخاصة • (ســوف يستقبل الفارابى فى هذه البيئة استقبالا حسنا) •

والذى يثبت لنا أن المتنبى قد أقام فى هذه الدوائر الأدبية منذ ٣٢٨ هـ (فى طبرية) وبخاصة بعد عام ٣٣٧ هـ (فى أنطاكية وحلب وفى إقطاعه فى معرة النعمان) ، لا عن تشابه عميق فى الآراء بل ضرورة حياة ، هو أن أفقه الفكرى لم يتسع بشــكل

(٣٥) ابن حزم / الديوان / ١٨٨ ، و إ٠ج٠ الطويل / تاريخ العلويين (فى أكثر من موضع) ٠

محسوس ، وأنه لم يتوافق قط مع هـذه البيئـة • وبالنسبة للصراع بين النحو التقليدى وبين علماء المنطق على الطريقـة الإغريقية ، فقد ظل المتنبى نحويا يتبع المدرسة الكوفية (٣٦) • صحيح أنه حاول ذكر أبقراط (فى قوله : فصاد الأكحل ») (٣٧)، وجالينوس (٣٨) ، وأنه افتتح إحدى قصائده ببيت حسابى شديد الغرابة (٣٩) • بيد أن هذه المحاولات تثبت أن الأمر لا يعـدو أن يكون ميلا ضعيفا إلى هذا اللون من الثقافة • وقد أولى الحاتمى الأمر من الاهتمام أكثر جدا مما يستحق حين حاول أن يقارن بعض أبيات المتنبى الحكمية بالحكم المنسوب لأرسطو عبارة عبارة ، وذلك لإثبات الصلة بين الاثنتين (٤٠) •

إن حكـم المتنبى لا تنتمى إلى الفلسفة الهليتية ، فإنـه لـم يحاول تعلمها فى البلاط الحمدانى • لقد كان ضعيف التذوق لما عليه هذه الحياة الراقية من سعة وانطلاق بعيوبها وانتشارها •

---

(٣٦) العكبرى /١/٢٢١ ، و ٢/٢٨٠ •
(٣٧) الديوان / ١٠٨ ، و « الوساطة » / ٣٥٦ •
(٣٨) الديوان / ٦٤ ، ٤٧٦ • وكذلك « بطليموس » (الديوان / ٤٤٧) •
(٣٩) « أحاد أم سداس » (الديوان / ٦٨ ، و « الوساطة » / ٧٨ ، ٨٤ ، والعكبرى /٢/٢١٨) ؛ حيث يشير (١ + ٦ = ٧) ، فيما يبدو لى ، إلى « سبع » كواكب « الدب الأكبر » المذكور فى البيت التالى من القصيدة (* يقصد « بنات نعش » ـ المترجم) •
(٤٠) «الرسالة الحاتمية » لابن مظفر (ط • الجوانب / ١٣٠٢ هـ ap. التحفة XI) •

وإذا كان حرصه الشديد الحساسية على استقلاله قد أبى عليه السجود للأمير فإنه لم ير في الحروب الكبيرة ضـــد الروم إلا مجرد وقائع عارضة وغارات للنهب ومبارزات فردية • وإذا كان قد تجاهل علماء البلاط فإنه لم يرض قط لنفسه دور التابع المستأنس ، بل كان يقطع على الفور علاقته بالملوك (٤١) • ولقد تسبب في أن تنتهي حياته بالقتل من أجـــل قصيـــدة هجائية ، بالضبط كأى شاعر جاهلي • ولقد أصبح ، مع ذلك ، ممكنا من خلال غربلة أسماء ممدوحيه غربلة شاملة ، أن نحصل على بعض النتـــائج ، وذلـــك بفضل أميـــدوز ، ومرجليوث ، ومتســـك ، وهيوورث دون ، الذين نشروا لنا عددا من مجاميع الدراسات التـــاريخية الخاصة بتلـــك الحقبة ، مزودة بتراجـــم مسهبة للأعلام • وفيما أظن فقد كان كل ممدوحي المتنبي تقريبـــا من الشيعة ، اللهم إلا قاضيا مالكيا ، وكاتبا ثريا شديد الغرابة ، وأظنه معتزليا ، هو هارون الأوراجي ، الذى كان مـــا كتبه ضد الحلاج سببا في محاكمته وقتله (٤٢) • فلا ممدوح أشعرى أو حنبلي • (لم تكن لهم في ذلك الحين أهمية تذكر) •

---

(٤١) درس Musil خط السير الذى اتبعه في فراره من مصر إلى العراق ، من السويس إلى الرهيمة والكوفة (الديوان / ٤٢٠) ap. Arabia deserta 522 — 528 ، وانظـــر الديوان / ٤٢٠ •

(٤٢) الديوان / ١٠٢ ، ١٠٦ (cf. Passion, 240) ، صاحب الوصف الشهير لكلب سلوقي يطارد غزالا ، ومن ما فضل المتنبي أن ينظم فيه شعرا دون أن يرى شيئا من مشهد المطاردة ، مما لايزال يجد إفراطا في المثالية •

وفى مثل هذا الوسط عاش المتنبى بعيدا عن الشام ، إذ وجد فى القاهرة (**) ، عند كافور ، الوزير ابن الفرات (وهو قرمطي فى السر) ، وفى العراق الوزير المهلبى (***) ، وأخيرا فى فارس فى آخر سنتين من عمره (٣٥٣ — ٣٥٤ هـ) بعض الوزراء البويهيين الآخرين . ولنلاحظ أنه قد زار فى شمال شيراز شعب بوان الساحر ، الذى لمحته عن بعيد وأنا فى الطريق إلى بيزا [٤٣] . وقد رأى أيضا فى الجنوب وادى « دراشته أرجان » [٤٤] (وادى اللوز) ، المشهور عند الشيعة بأنه موطن سلمان الفارسى .

ولنعد الآن إلى المعجم الشعرى للمتنبى من الناحية

(**) هذا سهو من الكاتب ، فإن القاهرة لما تكن قد وجدت . والصواب ، كما لا يخفى ، هو « الفسطاط » — المترجم .

(***) المعروف ان المتنبى لم يتصل بالوزير المهلبى ، الذى كان يتمنى لو مدحه الشاعر الكبير ، ولكن هذا رفض ، مما أحنق الوزير وجعله يغرى به بعض الشعراء السليطى اللسان ، إلى جانب الحاتمى ، الذى ألف فيه وفى شعره « الرسالة الموضحة » وانتقده فيها انتقادا شديدا إرضاء للمهلبى من جهة ، وشفاء لما وجد فى نفسه من عدم إحسان المتنبى استقباله من جهة أخرى — المترجم .

(٤٣) مسقط رأس الحلاج . وفى قصيدة المتنبى (الديوان / ٤٦١) ملاحظة بصرية بارعة تتعلق بالشكل المستدير لأضواء الشمس المتسللة من خلال أوراق الأغصان على الأرض (على شكل الهلال أثناء خسوفه) .

(٤٤) الديوان / ٤٨٠ ، ٤٧٨ ، والعكبرى /٢/٢٢٣ . وانظر "Salmân Pâk" / ١٠/هـ٤٥ ، وفى أسطورة أسد أرجان (طبرسى نورى / نفس الرحمن / ٣٨) التى انتقلت بعد ذلك من سلمان إلى الحلاج (Passion 418) .

الثقافية . إن الصياغة التى تمر بها مادة الصور الشعرية عنده تعكس تأثير من سبقه من القرامطة . لقد رفض شاعر البـلاط هذا أن يتغنى بالخمر ، كما أنه لم يصف جمال المرأة الجسدى ، ولم يخرج ، لجعل ألوان التهتك لاذعة ، عن نطاق الافتخـار غير الصـادق بالعفة مع ادعـاء التسامى الأفلاطونى (٤٥) . صحيح أنه ، من أجل القيـام بواجبـه ، كان ينوع المبالغات المدحية ، ولكن ما كان يقدمه ، أولا وقبل كل شىء ، لسامعيـه إنما هو عرض لفكره هو . وهو فكر صاف ، فى حالة ثورة عنيفة ضد الظروف البشرية ، بل أيضا ضد ثقل المادة البسيط ، وكذلك ضد ما سماه « اخوان الصفا » بالحكام السبعة : السماء ، التى تقلب الليل والنهار ، والفصول ، والطبيعة ، التى تبتلينا بالحر والبرد والرغبة والندم ، والقانون الذى إما أن يخضعك للنظام والتقاليد أو يجازيك بالعقاب ، والدولـة بإداراتها المختلفـة واستعبادها للمواطنين ، وضرورات الطعـام والشراب والملبس والمسكن ، وأداء العمل عن طريق الآلة (٤٦) :

نحن بنـو الموتى (٤٧)

* * *

(٤٥) وعلى العكس من ذلك ابو نواس (زهديات ـ مجون) . ولنلاحظ استعماله لكلمة « عقل » (عقول ـ مهج : الديوان / ٤١ ، ٣٤٧ ، ٤٨٩) .

(٤٦) إخوان الصفا (ط . بومباى) /٣/٩٠/٩١ .

(٤٧) « الوساطة » / ١٢٣ . وانظر للديوان / ٤٧٦ .

فلا تقنع بما دون النجوم (٤٨)

* * *

وبالموت فى الحرب يبغى الخلودا (٤٩)

* * *

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله (٥٠)

* * *

أجد الحزن فيك حفظا وعقلا (٥١)

* * *

حتام نحن نسارى النجم فى الظلم ؟
وما سراه على خف ولا قدم (٥٢)

* * *

فيـم التعـلل ؟ لا أهل ولا وطن
ولا نديـم ولا كأس ولا سكن (٥٣)

وهو لا يتحدث عن الحب إلا بوصفه قيدا مفروضا ، أو سقاما مخامرا للعقل ، ويحاول هو اكتناه أسراره لإثبات أنه فى الحقيقة لا شىء :

---

(٤٨) الديوان / ١٩٣ (وانظر الديوان / ٤١٢) / هـ ٤ .
(٤٩) الديوان / ١٠٠ .
(٥٠) الديوان / ٤٨٩ (وانظر بعد ذلك بثلاثة ابيات) .
(٥١) الديوان / ٣٣٩ .
(٥٢) الديوان / ٤٢٢ ، والعكبرى / ٢ / ٣٨ .
(٥٣) الديوان / ٤٠١ .

لهـوى النفوس سريرة لا تعـلم
عرضا نظرت،وخلت أنى أسلم (٥٤)

* * *

وأحلى الهوى مـا شك فى الوصل ربـه
وفى الهجر ، فهو الدهر يرجو ويتقى (٥٥)

ويسمى المتنبى هـذا الاتجاه القتالى العنيـف عنـده بـ « الفتوة » (٥٦) ، هذه الكلمة ذات النكهة الشيعية الغالية ، إذ كانت كلمة « الفتى » فى القرن الثانى الهجرى تعنى المتآمر الشيعى الذى حمل روحه على كفه بنبل وجسارة (٥٧) .

وبعد موت المتنبى بخمسين عاما أصبحت هذه الكلمة تدل على شرف الجماعة أو الحرفة التى ينتسب إليها الفرد ، تستوى فى ذلك عصابات قطاع الطريق والجماعات الحرفية (٥٨) . أما عند المتنبى فالفتوة هى شرف الإنسان الذى لا يعبأ بشىء غير العقل ، بكل نزواته وتقلباته ، والذى لا يبالى بخطر الموت .

---

(٥٤) الديوان / ٤٨٨ ، والحاتمى / ١٥٢ .
(٥٥) الديوان / ٢٨٥ . وانظر الحلاج / الديوان / ٦٠ .
(٥٦) الديوان / ١٥٥،٤٣٦،والعكبرى / ١ III ،والعكبرى / ٤٤٣/٢ ، و Recueil, 87 .
(٥٧) الكاشى / معرفة أخبار الرجال / ٨٢ ،
(cf. B. Farès, L'honneur chez les arabes, add.)
وانظر ديوان المتنبى / ٤٢٥ ، حيث يحضر الشاعر من « شكوى الجريح إلى الغربان والرخم » .
(٥٨) Encyclopédie de l'Islam, s.v. Sinf

ونفس الشىء عند القرامطة ، الذين يقول عنهم أبو الحسين ملطى ، المتخصص فى دراسة البدع ، إنهم فى الحرب لا يولون الأدبار بل يلقون بأنفسهم فى غمرات الموت ، وإنهم يرون أن ثمة حياة بعد الموت ، ويقولون « إن أرواحنا تتخلص من أدران الجسد وشهواته ، فنعود من ثمة إلى النور » ([٥٩]) .

---

(٥٩) أبو الحسن ملطى (377/987) / التنبيه / مخطوط / ص ٣٧ (cf. Recueil, 218) .

٢ ـ خاتمـــة

لقـــد نشأت الملاحظات السابقة من التأملات التى أوحت بها قصائد المتنبى قليـــلا ، تلك القصائد التى تتمتـــع بالتأكيد بشهرة ضخمـــة فى كل أرجاء العـــالم العربى ، والتى جعلنى صديقى الحاج على الآلوسى ، الذى ندين له بطريقة غير مباشرة بطبع كتاب الجرجانى عن المتنبى (٦٠) ، أشعر بمدى مغالبتهـــا للزمن (٦١) . وكان ذلك قبـــل بضع سنين ، أثناء رحلة دراسية ربيعية فى بادية السماوة .

وبدون الادعاء مطلقا بأنى أرغب فى أن أتذوق ، فى المتنبى الموسيقار الشعرى البارع ، فإنى ألمح أن تحريه للفظ الغريب ليس راجعا إلى الاهتمام المبتذل بالقوافى الغنية (****) يقصد به البناء الداخلى للبيت الشعرى . وبالنسبة لى فإنى لا أتوقف ،

---

(٦٠) وهى النسخة التى اعطانيها من كتاب « الوساطة » ، والتى حققها وطبعها الأستاذ عارف الزين فى ١٩١٣ .

(٦١) من « حشـــاشة نفس » (الديـــوان / ٢٣) ، إلى « كفى بك داء » (الديوان / ٣٧٣) ، وذلك من غير التعرض على الإطلاق لما نحصل عليه من « الأنواع الحافظية » أو « الفرجيلية » .

(****) القافية الغنية (rime riche) : هى القافية التى لا يتوافق فيها حرف الروى فقط ، بل حروف أخرى مع حرف الروى ، وربما كان أقرب مصطلح لها فى الشعر العربى هو « لزوم ما لا يلزم » ـ المترجم .

فى أية قصيدة ، إلا عند بعض أبيات منعزلة ، وذلك من أجل التأمل . وهى بوجه عام أبيات المقدمة ، التى تشبه نغمات مطلع سيمفونى جليل ، حيث ترسم يد الفنان دائما نفس حركة الفكر الحاسمة . إن المتنبى يدفع التوازى السامى القديم إلى أقصى حدود الإيجاز والبلاغة ، وهو ما يحمل طابع أصوله القرمطية ، طابع السيادة التى يختلط فيها المرارة والتعالى والمفاجأة المتعمدة ، وذلك عن طريق تنافر الكلمات (٦٢) ، الذى ، بفضل صنعة فى التوليف والمطابقة محكمة ، يصادم فكرتين متعارضتين ، فكرتين لا صورتين ، وذلك منذ الشطرة الأولى أحيانا :

باد هواك صبرت أم لم تصبرا

* * *

نرى عظما بالبين والصد أعظم
ونتهم الواشين والدمع منهم (٦٣)

* * *

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى
وللحب مالم يبق منى وما بقى (٦٤)

---

(٦٢) الديوان / ٢٩٦ .
(٦٣) الديوان / ٩٢ ، والعكبرى /١/ ٣٢٠ .
(٦٤) الديوان / ٢٨٥ .

وهذه المقـدمة أقدمها للمقارنة ، من حيـث الإيقـاع ، بقصيدة (٦٥) "Mére des souvenirs" لبودلير :

اثلـث ، فإنهـا أيهـا الطـلل
نبكى ، وترزم تحتنـا الإبل (٦٦)

وفى النهاية أشير إلى رائعته : « لك يا منازل » (٦٧) ، التى يقول فيها :

لـك يا منازل فى القلوب منـازل
أقفرت أنت وهن منـك أواهـل

يعلمن ذاك وما علمـت ، وإنمـا
أولاكمـا يبكى عليـه العـاقل

إن باسكال ، فى إحدى خواطره (٦٨) ، يؤكد عكس هـذه الفكرة ، فهو يقول : « إنه لا شقاء بدون شعور ، فالمنزل الخرب لا يشقى • وإن الإنسان وحده هو الذى يشعر بالشقاء » •

---

(٦٥) البيت قبل الأخير (الديوان / ٢٣) هو أيضا يشـبه شعر بودلير إلى حد كبير •

(٦٦) الديوان / ٤٦٥ •

(٦٧) الديوان / ١٤٦ • وانظر
Passion, 619; Syria, 1921, et II, p. 171 sq.
ويرى الجرجانى (الوساطة / ٢٨٨) أنه مأخوذ من بيت لأبى تمام ، ولكن الملاحظ أن بيت أبى تمام ينقصه حتى رسم حركـة الفكرة التى تهمنـا •

(٦٨) Pascal, Pensées, N° 399 de l'éd. Brunschvicg

إن التضـــاد بين باســـكال والمتنبى يكمن فى أن باســـكال النصراني يؤمن بالاصطفاء الإلهى المقصور على بعض الكائنات التى تحل بها النعمة الإلهية فتتغير هيئتها ، على حين أن المتنبى يرفض أن يسلم لأى كائن بأى امتياز استثنائى (٦٩) • وفضلا عن ذلك فقد كان المتنبى قرمطيا • وعنده أن الوجود ليس إلا نقابا خداعا يحجب عن نفسه الفكر السليم (٧٠) • ولكن بقية من إنسانية تدفعه إلى البكاء أمــام هذه الأحجار ، البكاء على خلوها من كل فكر ، البكاء على هذا النقص ، على هذا العدم ، الذى هو أسوأ من عذاب الجحيم ذاته •

---

(٦٩) إما كل المخلوقات (ابن عربى) ، وإما لا احد ، إذا كان الامر يتعلق بمظهر للتجلى الإلهى ٠

(٧٠) عند الخطابية (على حسب ما يقول النصيريون) أن لكل شىء ، حتى الجمادات ، نفسا ، وأن حجر عتبة فى حماة كان امرأة آثمة انقلبت حجرا ، عقابا وتعذيبا لها ٠ لكن عند الدروز ، ليست المادة إلا شبح العدم ، ولا يوجد إلا نفس واحدة كونيــة ، هى « العقــل » ٠

دراسة المترجم لبحث

لويس ماسينيون (*)

منذ أن اشتهر المتنبى حتى العصر الحديث ، أى على مدى عشرة قرون تقريبا ، لم يقل أحد ، سواء من معاصريه أو ممن جاءوا بعده ، بل لم يشر مجرد إشارة ، ولو من بعيد ، إلى أن الشاعر كان قرمطيا أو إسماعيليا . لقد اتهم المتنبى بأنه أدعى الانتساب إلى العلوية أو زعم النبوة أو خرج على السلطان . أما القرمطية أو الإسماعيلية فلم يقل بها أحد كائنا من كان . وظل الحال هكذا حتى طلع علينا بلاشير بأن الشاعر كانت له علاقة بالقرمطية . ثم أتى فى أعقابه ماسينيون فزاد فى الطنبور نغمة ، إذ قال إن المتنبى كان قرمطيا .

وبادىء ذى بدء أحب أن أؤكد أنه لو كان المتنبى قرمطيا ما خفى ذلك على القدماء وبخاصة معاصروه ، فقد كان القرامطة معروفين للناس العاديين بله للكتاب والمؤرخين ، وكان نشاطهم هو موقفنا لولا أن من بين المستشرقين من يحب أن يطلع علينا

(*) من يريد أن يطلع على بعض خفايا الدور الذى قام به هذا المستشرق للتمكين للاستعمار الفرنسى فى بلاد المسلمين عن طريق الاتصالات المريبة وتوزيع الأموال السرية ، يمكنه أن يرجع إلى ما كتبه الصحفى اللبنانى النصرانى ، إسكندر الرياشى فى كتابه « رؤساء لبنان كما عرفتهم » (ص / ٢١١ ــ ٢٥٤) ، أقول هذا حتى نعرف حقيقة ذلك الرجل ، ولا نحسن الظن بأحكامه المتهافتة البادية السخف .

من حين لآخر بالنظرية العجيبة تلو النظرية ، وكل دليله لفظة هنا وأخرى هناك يمتلخهما من سياقهما ويحملها بما لا تحتملان ظاهرا للعيان ، بل اصطلت به المجتمعات الإسلامية فى الشام والعراق واكتوت بناره مرارا عدة • وكان ينبغى أن يظل هذا من المعانى والدلالات • وهو فى أثناء ذلك كله يعتسف الشبهات اعتسافا ، غير مبال بمنطق أو تاريخ •

ومن هذا الصنف من المستشرقين المستشرق الفرنسى لويس ماسينيون ، الذى ادعى فى بحثه المنشور فى هذا الكتاب أن المتنبى كان إسماعيليا قرمطيا • والحقيقة أننى رغم تفنيدى لهذه الدعوى من قبل (١) قد عدت فرددت النظر مرارا فى هذا البحث ، لعلنى أن أقع فيه على ما قد يجعلنى أغير رأيى ، غير أننى لم أجد شيئا من هذا ، بل على العكس زدت اقتناعا بسلامة موقفى من هذه الدعوى ، وهشاشة نظرية ماسينيون •

وتدور اعتراضاتى على هذه النظرية الماسينيونية على محورين : الأول تاريخى ، والثانى نصوصى • فأما الناحية التاريخية فإننى أطرح الأسئلة الآتية :

ترى لو كان المتنبى إسماعيليا أو قرمطيا فلماذا لم يذكر ذلك أحد من معاصريه ؟ لقد كان للمتنبى أعداء كثيرون وحساد

---

(١) انظر كتابى / المتنبى ـ دراسة جديد لحياته وشخصيته / ٢٠٠ ـ ٢١٧ • وانظر أيضا كتابى « لغة المتنبى ـ دراسة تحليلية » / ٢٨٦ وما بعدها •

أكثر . ولو قد شام أحد من هؤلاء أن الشاعر قرمطى أو إسماعيلى لشنع عليه ، وفضحه على رؤوس الأشهاد . لقد رأينا بعضهم يهجوه بأن أباه كان سقاء ، وبعضا آخر يحاول أن يسىء إليه بنكش تهمة التنبؤ التى ألصقت به ، ولكننا لم نسمع قط أن أحدا من هؤلاء أو من غيرهم قد أشار أو ألمح إلى أنه كان قرمطيا أو إسماعيليا . وإذا افترضنا أنه ربما كان من الصعب على أعدائه أن يعرفوا عنه شيئا من هذا الجانب لأنه كان حريصا على إخفائه ، فكيف لم يعرف ذلك عنه أحد من أصدقائه أو محبيه ، كابن جنى مثلا ، أو ابن رشدين المصرى ، أو على ابن حمزة ، الذى نزل المتنبى عنده فى بغداد بعد فراره من مصر ، والذى نسب إليه أنه قال إن المتنبى ما صلى ولا صام ولا قرأ القرآن (وإن كان قد مدحه أيضا بثلاث خلال : أنه لم يكذب ولم يزن ولم يلط) (٢) ، أو الناشىء الأصغر ، وهو كوفى مثله ، وكان يعرف المتنبى وهو لا يزال صبيا ، إذ كان يملى قصائده فى المسجد الجامع بالكوفة وكان شاعرنا (وكان صبيا آنذاك) يكتبها مع الكاتبين ، ثم تقابلا بعد ذلك فى مصر . فلو أن الناشىء سمع مجرد سماع أن المتنبى قرمطى أو أنه كان قرمطيا أو حتى له علاقة ، أى علاقة ، بالقرامطة ، فلم لم يتقرب

---

(٢) انظر كتابى « المتنبى ـ دراسة جديد لحياته وشخصيته / ١٩٨ ـ ١٩٩ ، وكذلك ترجمة ابن العديم للشاعر فى السفر الثانى من كتاب « المتنبى » لمحمود شاكر / ٢٩٦ / والصبح المنبى / البديعى / ٩٤ .

إلى كافور ورجال حاشيته بإفشاء سر الشاعر المتكبر الذى أثار على نفسه هناك ، كعادته أينما حل ، العداوات المرة ؟ ثم هناك راويته محمد بن أحمد بن محمد المغربى أبو الحسن ، وكان أحد الأئمة الأدباء والأعيان الشعراء (٣) . أيعقل أن يكون سيده قرمطيا ثم لا تصل إلى أسماعه ، من سيده نفسه أو من غيره ممن يحبونه أو يبغضونه ، كلمة عن قرمطيته ، ولو كانت مجرد شائعة من الشائعات ؟

إذا كان المتنبى قرمطيا أو إسماعيليا فكيف لم يمدح أحدا من زعمائهم أو دعاتهم أو حتى أى رجل عادى من بينهم ؟ وأمامك ديوان المتنبى ، فتصفحه على مهلك كما تحب ، فلن تجد فيه مدحا لأى إسماعيلى أو قرمطى . قد يقول بعض الباحثين إن المتنبى قد أسقط من ديوانه شعرا كثيرا (٤) . غير أن قائلى هذا ينسون بعض الحقائق الهامة التى لو استحضروها أمام أعينهم لرجعوا من فورهم عن قولهم هذا . فمثلا ، هل إذا حذف المتنبى بعض شعره من ديوانه يكون قد تخلص من هذا الشعر غير المرغوب فيه ؟ كلا بالطبع ، لأن المتنبى لم يكن يكتب الشعر لنفسه ويحتفظ به لا يطلع عليه أحدا غيره ، بل كان ينشده فى المحافل والاجتماعات ، فهل محاه أيضا من آذان من

---

(٣) انظر « الصبح المنبى » للبديعى / ٢٦٩ / هـ ٣ .
(٤) انظر مناقشتنا لهذه الدعوى الغريبة فى كتابى « المتنبى — دراسة جديدة لحياته وشخصيته » / ١١٩ — ١٢٠ .

سمعوه وأذهانهم ، أم ماذا ؟ وأيضا ، لماذا يحذف المتنبى مثل شعره هذا وهو لـــم يحذف تهديداته المتكررة فى صباه للملوك وشتائمه لهم ولأهل زمانه جميعا ؟ ولماذا لم يحـــذف قصيدته فى أبى الفضل ، وهى قصيدة مضطربة الأفكار والتصورات ، واتهم بسببها بالضلال والزيغ من العقيـــدة من قبل بعض من كتبوا عنه (٥) ؟ ولماذا لم يحذف قصيدته العارية الجارحة التى هجا بها ضبة ؟ وحتى لو قيل إنه قد حذف ذلك كله ، لكن الرواة قد أعادوا إثباته ثانية فى الديوان ، فإن هذا الرد يؤكد ما أقوله من أنه لـــم يكن بمقـــدور المتنبى ، لـــو كان قـــد مدح أحـــد الإسماعيليين أو القرامطة ، أن يحذف هذا المـــدح • إن من المؤكد الذى لا يقبل عندى أى قدر من الشك مهما ضـــؤل أن المتنبى لو كان قد فعل ذلك لاحتفظت لنا به كتب الإسماعيليين • التى ابتدأت تظهر من مكامنهـــا فى العصر الحـــديث وتنشر للجمهور • فأين مثل تلك المدائح ، أين ؟ ولم لم يدلنا على شيء من ذلك ماسينيون أو غيره ممن يدعون على المتنبى أنـــه كان قرمطيا أو إسماعيليا ؟ إن المتنبى لـــو كان قـــد مـــدح أحـــد الإسماعيليين أو القرامطة لاحتفت بذلك كتب القوم وطنطنت به وضربت له الطبول والأبواق •

إن ماسينيون قد أشار (إشارة الموافقة فيما يبدو) إلى

---

(٥) انظر مثلا العكبرى /٤/٣٢/١٦٨ ، و د• طه حسين / مع المتنبى / ٤٤ ـ ٤٥ •

ما ادعاه بلاشير من أن أبا الفضل الذى مدحه المتنبى فى صباه هو أحد الإسماعيليين • ونص كلام ماسينيون هو : « يظن الأستاذ بلاشير أن الذى دعاه وحوله إلى المذهب الإسماعيلى هـو شخص اسـمه أبو الفضـل » (٦) ، ولكن لا بلاشير ولا ماسينيون قد قـدم مـا يـدل على أن أبا الفضل هـذا كان إسماعيليا أو قرمطيا ، بله أن يكون هو الذى تحول المتنبى على يديه إلى المذهب الإسماعيلى • إن كل ما يقوله شارحو الديوان فى القصيدة التى مدح بها المتنبى أبا الفضل ذاك هو من هذا القبيل : « قال وهو فى المكتب يمدح رجلا ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه » (٧) أو « وقال يمـدح إنسانا ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ، وهى من قوله فى صباه » (٨) ، وهو ما يدل دلالة قاطعة أن أبا الفضل هذا لم يكن إلا نكرة بين الرجال ، فهو فى عبارة جامع الديوان مجرد « إنسان » ، وهو فى عبارة العكبرى مجرد « رجل » من الرجال • وينبغى ألا ننسى أن المتنبى قد نظم هذه القصيدة وهو صبى صغير فى الكتاب ، أى قبل أن تتسع مداركه لفهم معنى الإسماعيلية ، فضلا عن الاقتناع بها والتحول إليها • « ثم إننا لا نسمع باسم أبى الفضل ثانية لا فى ديوان المتنبى ولا حياته بعد ذلك أبدا » (٩) ، فهل يعقل أن يكون مصير

---

(٦) انظر هامش / ١٧ فى النص المترجم •
(٧) ديوان المتنبى / ١٥ •
(٨) العكبرى / ٤/٢٧ •
(٩) د• إبراهيم عوض / المتنبى ـ دراسة جديدة لحياتـــه وشخصيته / ١٤٦ •

أهم شخص فى حياة المتنبى الروحية (بناء على هذه الدعوى) هو الخروج بهذه السرعة من حياة الشاعر وشعره واهتماماته تماما ؟ ولا يقولن أحد : « إنه ربما مات بعد ذلك بقليل » ، وإلا لتساءلنا بدورنا : « أفكان المتنبى يسكت فلا يرثى هذا الذى تحول على يديه هذا التحول الروحى الخطير ؟ » . وعلى كل حال ، فقد خرج كثير من كتب الإسماعيلية من مكامنه . فهل وجد فيها ماسينيون أو غير ماسينيون ما يدل على أن أبا الفضل هذا كان من دعاتها أو حتى من رجالها العاديين ؟ (أقصد أبا الفضل الذى مدحه المتنبى ، لا أى « أبى فضل » آخر ، لأنه لا يستبعد أن نعثر من بين الإسماعيليين فى ذلك العصر على أبى فضل أو « آباء فضل » كثيرين لم يمدحهم المتنبى بل لم يعرفهم أصلا) .

ثم إن القصيدة التى مدح بها المتنبى (وكان صبيا لا يزال يتردد إلى الكتاب) أبا الفضل ذاك بين أيدينا ، ولا أدرى ماذا فيها من إسماعيلية (أو قرمطية) . لقد نظم المتنبى هذه القصيدة بغية استجداء شىء من أبى الفضل هذا ، والأبيات العاشر والثانى عشر والثامن عشر والتاسع عشر والعشرون قاطعة الدلالة على هذا ، ونصها (على هذا الترتيب) هو :

يعطيك مبتدئا فإن أعجلته
أعطاك معتذرا كمن قد أجرما

نصر الفعـال على المطـال ، كأنما
خـال السؤال على النوال محرما

— — — — — — — — — — — — — — —

يا مـن لجـود يديـه فى أموالـه
نقـم تعـود على اليتامى أنعمـا
حتى يقـول الناس : ماذا عاقـلا
ويقول بيت المـال : ماذا مسلمـا
إذكار مثـلك ترك إذكارى لـه
إذ لا تريـد لمـا أريـد مترجمـا

ولو كان أبو الفضل هذا إسماعيليا تحول المتنبى على يديه إلى مذهب الإسماعيلية لاتخذ الكلام اتجاها آخر ، كأن يعرض المتنبى بعض عقائد هذا المذهب ، وفضل هذا الرجل عليه فى إزالة الغشاوة عن عينيه وهدايته إلى الصراط المستقيم . أما قوله له فى نفس القصيدة :

يا أيهـا المـلك المصفى جوهـرا
من ذات ذى الملكوت أسمى من سما
نـور تظاهـر فيـك لا هوتيـة
فتكاد تعلم علـم مـا لن يعلمـا

— — — — — — — — — — — — — — —

أنـا مبصر وأظـن أنى نائـم
من كان يحلـم بالإلـه فأحلمـا

فهو كلام غامض مضطرب ، كما وضحت فى دراستى عن حياة الشاعر وشعره عند تناولى للبيت الأخير (١٠) • ولا شك أن المبالغة المقيتة ظاهرة فى هذه الأبيات الثلاثة ، بيد أن ديوان الشاعر يحتوى على كثير من أمثال هذه المبالغات المستحيلة السخيفة ، من مثل قوله عن نفسه من قصيدة فى صباه :

ما مقامى بأرض نخلة إلا
كمقام المسيح بين اليهود

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

أنا فى أمة تداركها اللـ
ـه غريب كصالح فى ثمود

وقوله يمدح شجاع بن محمد بن أوس بن معن بن الرضى الأزدى وقومه (فى صباه أيضا) :

كبرت حول ديارهم لما بدت
منها الشموس ، وليس فيها المشرق

ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ

لم يخلق الرحمن مثل محمد
أبدا ، وظنى أنه لا يخلق

وقوله يمدح شجاع بن محمد الطائى المنبجى :

---

(١٠) انظر المرجع السابق / ١٤٥ ـ ١٤٦ •

إلى سيد لو بشر الله أمة
بغير نبى بشرتنا به الرسل

إلى القابض الأرواح والضيغم الذى
تحدث عن وقفاته الخيل والرجل

وقوله فى محمد بن زريق الطرسوسى :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه
لما أتى الظلمات صرن شموسا

أو كان صادف رأس عازر سيفه
فى يوم معركة لأعيا عيسى

أو كان لج البحر مثل يمينه
ما انشق حتى جاز فيه موسى

أو كان للنيران ضوء جبينه
عبدت فكان العالمون مجوسا

— — — — — — — — — — —

يا من نلوذ من الزمان بظله
أبدا ، ونطرد باسمه إبليسا

وقوله فى أحد التنوخيين :

ملك تكون كيف شاء كأنما
يجرى بفصل قضائه المقدور

وقوله فى تنوخى آخر (هو الحسين بن إسحاق التنوخى) :

فما ترزق الأقــدار من أنت حارم
ولا تحــرم الأقدار من أنت رازق

* * *

له رحمة تحيى العظام ، وغضبــة
بها فضلة للجرم عن صاحب الجرم

وقوله فى تنوخى ثالث (هو على بن إبراهيم التنوخى) :

كــأن ســخاءك الإســلام تخشى
إذا مــا حلــت عاقبــة ارتــداد

وقوله يمــدح عبد الواحــد بن العباس بن أبى الإصبع الكــاتب :

نفــذ القضــاء بمــا أردت كأنــه
لــك كلمــا أزمعت أمــرا أزمعــا
وأطــاعك الدهــر العصى كأنــه
عبــد إذا ناديــت لبــى مسرعــا

وقوله يمدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكى :

ذا السراج المنير ، هذا النقى الــ
ــجيب ، هــذا بقيــة الأبــدال

فخـذا ماء رجله وانضحا فى الـ
ـمدن تأمـن بوائـق الـزلزال

وامسـحا ثوبـه البقيـر على دا
ئكمـا تشفيـا مـن الأعـلال

- - - - - - - - - - - - -

رجـل طينـه من العنبـر الـور
د ، وطين العبـاد مـن صلصـال

فبقيـات طينـه لاقـت المـا
ء فصـارت عذوبـة فى الـزلال

وقوله فى بدر بن عمار :

لـو كان علمـك بالإلـه مقسـما
فى الناس ما بعث الإلـه رسـولا

لو كان لفظـك فيهمو ما أنزل الـ
ـفرقان والتـوراة والإنجيـلا

وقوله فى سـيف الدولة :

ويستكبرون الدهـر والدهر دونه
ويستعظمون الموت والموت خادمه

* * *

ووكل الظن بالأسـرار فانكشفت
لـه ضمائـر أهل السهل والجبل

فلا موت إلا من سنانك يتقى
ولا رزق إلا من يمينك يقسم

* * *

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى
إلى قول قوم : أنت بالغيب عالم

وقوله يمدح كافورا :

قضى الله يا كافور أنك أول
وليس بقاض أن يرى لك ثانى

— — — — — — — — — — —

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه
لعوقه شيء عن الدوران

وقوله فى عضد الدولة :

الناس كالعابدين آلهة
وعبده كالموحد الله

وليس من المعقول أن هؤلاء الممدوحين كانوا من الإسماعيليين .

ولنلاحظ مرة أخرى أن المتنبى لم يعد لأبى الفضل هذا بعد ذلك . وهذه كانت عادته : لا يعود لممدوح تركه ، فهو كقارب يحمله السيل العرم : دائما يتقدم ولا يعرف الرجوع !

www.books4all.net

أريد أن أقول إن أبا الفضل ذاك لم يكن إلا واحدا من الذين مدحهم المتنبى ليحصل منهم على بعض المال، ثم تركه وحمله تيار الحياة إلى غيره وغيره . هذا كل ما هنالك .

ولنفترض بعد ذلك كله أن المتنبى لم يمدح ، لسبب أو لآخر ، أحدا من الإسماعيليين، فكيف لم يرد ذكره فى كتب الإسماعيلية التى تتحدث عن عقائدهم وتاريخهم ورجالهم ؟ لقد نشر عدد كبير من هذه الكتب ، وعكف عليها نفر من الدارسين تخصصوا فيها ، سواء من المستشرقين ، مثل إيفانوف وبرنرد لويس ، أو من العرب ، مثل عارف تامر ومصطفى غالب و د. محمد كامل حسين . ومع ذلك فإن أحدا من هؤلاء لم يقل إنه وجد للمتنبى ذكرا فى كتب القوم بوصفه واحدا منهم . إن المتنبى شاعر عبقرى : فلو أحس الإسماعيليون مجرد إحساس أنه منهم أو له بهم صلة لما سكتوا أبدا (١١) . لقد

---

(١١) وحتى أعطى القارىء فكرة عن مدى اهتمامهم بكل من ينتمى إليهم أذكر أن رؤساء البهرة فى أيامنا هذه (وهم فرع من الإسماعيلية) يبدون اهتماما بمسجد « على المغربى » فى قريتنا (كتامة الغابة ، مركز بسيون ، غربية) . والمعروف أن قبيلة كتامة كان لها دور عظيم فى نصرة الفاطميين بالمغرب . ويبدو لى أن فروعا من هذه القبيلة قد وفدت إلى مصر ، واستقرت فى مواضع مختلفة منها ، ومن بينها قريتنا ، وأن هذا الشيخ ينتمى إلى هذه القبيلة . فانظر مدى الاهتمام الذى يبديه هؤلاء الإسماعيليون الهنود (البهرة) بعد كل هذه القرون بمسجد ولى مغمور فى قرية مغمورة من قرى مصر . فإذا كان هذا حالهم مع مثل هذا الولى المغمور فما بالك بالإسماعيليين مع المتنبى لو كان المتنبى إسماعيليا ؟

رجعت إلى ما أتيح لى من كتب الإسماعيلية ، مثل « سيرة الأستاذ جوذر » لأبى على منصور العزيزى الجوذرى ، و « دعائم الإسلام » و « كتاب الهمة فى آداب اتباع الأئمة » للقاضى النعمان بن محمد ، و « ديوان المؤيد فى الدين داعى الدعاة » ، و « سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة »، و « المجالس المستنصرية » ، و « السجلات المستنصرية » ، « وكتاب الرياض » لحميد الدين أحمد بن عبد الله الكرمانى، و « المجالس المؤيدية » للمؤيد فى الدين الشيرازى ، وكذلك « أصول الإسماعيلية » لبرنارد لويس ، وكتاب المقريزى « اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » ، و « المهدية فى الإسلام » لسعد محمد حسن ، وما كتبه عارف تامر عن « القرامطة » وعن « الإمامة فى الإسلام » ، ومصطفى غالب عن « تاريخ الدعوة الإسماعيلية » ، و د. محمد كامل حسين عن « الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى آخر الدولة الفاطمية » فلم أجد فيها ما يدل ، أو حتى يفهم منه ولو على سبيل التأويل والتعسف ، أن المتنبى كان يوما من الأيام واحدا منهم . وقصارى ما وجدته هو استشهاد المؤيد فى الدين داعى الدعاة (فى ترجمته لنفسه المعنونة بـ « سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة ») بثلاثة أبيات وشطرة للمتنبى لا علاقة لها بالإسماعيلية أو بأى مذهب دينى آخر من قريب أو من بعيد . وهذه الأبيات هى قوله فى رسول ملك الروم ووفوده على سيف الدولة ، الذى يسميه المؤيد فى الدين « ابن حمدان »،

وهى تسمية لها دلالتها على رغبة المؤيد فى التحقير من شـأن سيف الدولة (ممدوح المتنبى ، بل أقرب ممدوحيه إلى نفسه ، لاحظ) :

وأقبل يمش فى البساط فما درى
إلى البحريمشى أم إلىالبدر يرتقى

وقوله يخاطب كافورا ، وكافور كما نعلم سنى ، وكانت بينه وبين الفاطميين فى المغرب عداوة شديدة :

ومـا شئت إلا أن أدل عـواذلى
على أن رأيى فى هـواك صـواب
وأعلـم خلقا خالفونى فشرقـوا
وغربت أنى قـد ظفـرت وخابوا

وقولـه لأبى شجاع فاتـك ، منافس كافـور فى مصر : « فليسعد النطق إن لم يسعد الحال » (١٢) • وكما ترى فإن هذه الشواهد هى كلها فى مدائح أعـداء الفاطميين • ولو كان للمتنبى أدنى علاقة بالإسماعيلية لما فات ذلك المؤيد فى الدين ولأشار إليه • ومثل ذلك إشارة عارف تامر المعارضة فى كتابه « القرامطة » إلى أن المتنبى سكن « سلمية » مدة من الزمن وأنه حضر فيها معركة مع سيف الدولة (١٣) • وهذا كل ما هنالك •

---

(١٢) انظر هذه الأبيات والسياق الذى وردت فيـه « سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة » / ٨٥ ، ١٠٤ ، ١٦٧ على هـذا الترتيب •

(١٣) عارف تامر / القرامطة / ٥٧ •

من هنــا فإنى أستغرب أشـــد الاستغراب حين أجـــد د. محمد كامل حسين ، بعد هذا كله ، يقول فى سياق حديثـه عمن تأثروا بالإسماعيلية والقرامطة إن « المتنبى الشاعر الفحل تأثر بالقرامطة ، الذين كانوا على صلة بالإسماعيلية ، بل قيل إن المتنبى اعتنق مذهبهم وتأثر بهم فى حياته وشعره » (١٤) .

إن المتكلم هنا ليس هو د. محمد كامل حسين العالم المحـــقق المدقق الذى لا يقول قولا إلا بتوثيق ، ولكنه د. محمد كامل حسين تلميذ د. طـــه حسين وماسينيون المعجب بهمـــا أشـــد الإعجاب ، فهذا كان رأيهما : رأى ماسينيون أولا ، ثم جاء الدكتور طه كعادته ، فأخذ هذا الرأى ونفخ فيه وضخـــم ، وإلا فأين النصوص أو النص الذى اعتمد عليه د. محمد كامل حسين فى كلامه هذا ، حتى لو كان هذا النص جملة واحدة أو عبارة طائرة فى أحـــد كتب الإسماعيلية ، وهـــو من أشهر من تخصصوا فيها وفى تحقيقها ونشرها ، أو غيرهـــم من القدماء معاصرى المتنبى أو حتى من غير معاصريه ؟ ومع ذلك فيحمد لـــه أنه كان حريصا فى صوغ كلامه فقال : « بل قيل : إن المتنبى اعتنق مذهبهم وتأثر بهم فى حياته وشعره » ، وإن لم يذكر لنا من قال هذا . وطبعا هو بلاشير وماسينيون ، ثم د. طـــه حسين بعد ذلك وغيره . المهم أنه ، وهو المتخصص المتعمق فى

---

(١٤) انظر مقدمته لكتاب « المجالس المستنصرية » للداعى ثقة الإمام علم الإسلام / ى .

كتب الإسماعيلية وعقائدهم وتاريخهم ، لم يجد فى نهاية المطاف شيئا عن علاقة المتنبى بالإسماعيلية والقرامطة ، اللهم إلا صيغة التمريض : « قيل » •

كذلك فلو كان المتنبى إسماعيليا لأراح نفسه من البداية وقصد الفاطميين فى المغرب ، وبخاصة أن الفاطميين كانوا يكرمون الشعراء إكراما شديدا ، ويهتمون بالشعر ويعتزون به ويتخذونه وسيلة لتثبيت ملكهم وتوطيد دولتهم (١٥) • وقد كان أحرى أن ينال طلبته فى الحكم والولاية عندهم ما دام على مذهبهم ، أو كان على الأقل يستطيع أن يدعى عقيدتهم لينال الخطوة لديهم ، وعلى الأخص بعد فشله عند كافور ، وبدلا من أن ييمم وجهه حين فر من مصر ، نحو المشرق ، الذى لم ينل منه حتى ذلك الوقت إلا وجع الدماغ ، يوليه نحو المغرب إلى المعز لدين الله ، أو كان هذا يرسل إليه يستقدمه إلى عاصمة ملكه ، وهو الذى كان يريد أن يباهى بابن هانىء فى مقابل مباهاة أهل المشرق بالمتنبى (١٦) • وهذه الرغبة المعزية فى المباهاة بابن هانىء فى مقابل مباهاة أهل المشرق الإسلامى بالمتنبى لا تعنى إلا شيئا واحدا : أن المتنبى لم تكن له صلة بالإسماعيليين ، ولا كان على مذهبهم ، ولا فكر فيهم أو فكروا فيه •

---

(١٥) انظر عبد الحميد حسن / صفحات من الادب المصرى من العصر الفاطمى إلى النهضة الحديثة / ١١ ـ ١٥ •

(١٦) انظر مصطفى غالب / تاريخ الدعوة الإسلامية / ١٣٧ •

وكذلك لـم يحـدث أن المتنبى قـد انحاز إلى أية من الجماعات القرمطية التى كونت مجتمعا خصا بهـا ، بـل على العكس من ذلك اشترك فى الدفاع عن الكوفة مسقط رأسه حين هاجمها القرامطة فى أخريات حياته ، ونظم قصيدة فى مـدح دلير بن لشكروز ، وهو قائد عباسى جاء لنجدة المدينة (وإن كان القرامطة قد انهزموا وارتدوا عن المدينة قبل وصوله) ، وفى هجائهم (١٧) .

ليس ذلك فقط ، بل إن لابن هانىء قصيدة يهاجم فيهـا المتنبى ويغض من شعره . ولو كان المتنبى إسماعيليا لما وقف منه ابن هانىء الإسماعيلى هذا الموقف المعادى (١٨) . كذلك فإن ماسينيون يقول إن ابن الفرات ، وزير كافور ، كان قرمطيا فى السر . وبغض النظر عن أن هذا صحيح أو لا (١٩) ، فإننا نتساءل : إذا كان الأمر كذلك فكيف تعادى الرجلان وكلاهمـا فى زعم ماسينيون إسماعيلى ؟ وفى النهاية نطرح هذا السؤال الهام : إذا كان المتنبى إسماعيليا فكيف لم تحتو مكتبته على بعض كتب الإسماعيليين ؟ إن أحدا لم يشر إلى هذا فى القديـم أو الحديث ، من خصومه أو معجبيه . فإذا قيل : لقـد كان

---

(١٧) انظر القصيدة فى ديوان المتنبى / ٥١٨ .

(١٨) انظر هذه القصيدة فى كتاب « مـع شعراء الاندلس والمتنبى » لإميليو غرسيه غومث / ٤٩ ــ ٥٠ .

(١٩) انظر مثلا فى علاقة الوزير ابن الفرات بالفاطميين / اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا / ١٤٧ ــ ١٤٨ ، ٣٣٥ .

إسماعيليا (أو (قرمطيا) في فترة من حياته ثم رجع عن ذلك قلنا : فكيف لم نسمع أن أحدا من القرامطة أو الإسماعيليين قد هجاه لذلك أو فضحه عند من اتصل بهم من الملوك ؟

أما كلام ماسينيون عن ثورة المتنبي وتنبئه ودلالة ذلك على قرمطيته فقد فرغت من الرد عليه وتفنيده في الدراسة التي كتبتها عن حياة الشاعر وشخصيته وانتهيت إلى أنه لم يقم بأية ثورة أو يتنبأ (٢٠) .

ويبقى تركيز المستشرق الفرنسي على أن الكوفة كانت مركزا للقرامطة ، وليس هذا بدليل على قرمطية المتنبي ، إذ ليس يعقل أن كل الكوفيين في ذلك الوقت كانوا من القرامطة ، بل إن القرامطة كانوا يهاجمون من حين لآخر هذه المدينة . وآخرها في حياة المتنبي هي المرة التي اشترك فيها الشاعر مع أهل مدينته في محاربتهم وردهم على أعقابهم خائبين ، كما أشرنا .

فهذا من ناحية المحور التاريخي : أنه لا يوجد دليل واحد على أن المتنبي كان في وقت من الأوقات إسماعيليا أو قرمطيا . أما المحور النصوصي فهو يدور حول نقطتين : الأولى الألفاظ والمصطلحات والعبارات الموجودة في شعر المتنبي ، والتي ادعى ماسينيون أن الشاعر قد أخذها عن الإسماعيليين (أو

---

(٢٠) انظر الفصل الثاني من كتابي / المتنبي ـ دراسة جديدة لحياته وشخصيته .

القرامطة) • والثانية الأفكار التي يرى المستشرق الفرنسي أن المتنبي قد استمدها من المذهب الإسماعيلي (أو القرمطية) •

ونبدأ بالألفاظ والعبارات • إنه يرى أن قوله :

إن كان مثـلك كان أو هـو كائن
فبرئـت حينئـذ مـن الإسـلام

هو سخرية منه بالإسلام • ولا أدري أية سخرية بالإسلام في هذا البيت • إن في الكلام ، لاشك ، مبالغة ، ولكنها مثل قول الواحد منا : « لأقطعن ذراعي لو لم يكن الأمر على ما قلت » أو قول الأب لابنه : « سأقطع رقبتك بالسكين إن لم تفعل كيت وكيت » ، ولا قطع ولا خلافه • على أن مثل هذه التعبيرات لتدل دلالة قاطعة على أن الذراع أو الرقبة المهددة بالقطع هي أغلى شيء عند صاحبها ، أو على الأقل : من أغلى الأشياء عنده ، أي أن المتنبي حين يهدد بأنه سيبرأ حينئذ من الإسلام فإنما ينم هذا على أنه مسلم يغالي بإسلامه ، ولا يجد ما هو أعز عنده منه ليقسم به • أما قول ماسينيون إن في البيت التالي :

لولم تكن من ذا الورى اللذ منك هو
عقمـت بمولـد نسلهـا حـواء

سخريـة بحـواء فإني في الحقيقـة لا أفهـم مـا علاقتـه بالقرمطية أو الإسماعيلية • أما سخرية المتنبي بالمهدي ، وذلك في قوله يمدح عضد الدولة :

فإن يكن المهــدى من بان هديــه

فهذا ، وإلا فالهدى ذا، فما الهدى؟

فإنها تدل على أنــه لــم يكن يذهب مذهــب الشيعــة ، على الأقل فى عقيدتهم فى المهدى ، فضلا عن أن يكون إسماعيليا أو قرمطيا ، فالإسماعيلية والقرمطية ، كما نعرف ، همــا نبتتان شيعيتان فيهما غلو وكثير من الانحراف • ومع ذلك فإننــا نرى أن المتنبى فى البيت التالى :

أو كان لــج البحــر ملء يمينــه

مــا انشق حتى جاز فيــه موسى

وكذلك فى هذا البيت الذى يتحــدث فيه عن معجــزة إحيــاء الموتى على يد سيدنا عيسى عليه السلام :

لــو كان صادف رأس عازر سيفه

فى يــــوم معركــة لأعيــا عيسى

قــد استسلم لنزوة السفاهة ، وإن كنت لا أوافق من زندقوه أو كفروه بسببهما ، فإنهما ، رغم ما فيهمــا من ســـفاهة وقلة عقل ، يومئان إلى أن المتنبى كان يؤمن بمعجزة فلق البحر على يد موسى ، وإحياء الموتى على يد عيسى • وقد قال المتنبى ذلك وهــو لا يزال فى برد الصبا ، ومــا فتىء الصبيان فى عصرنا يقولون كلا ما شنيعا بألسنتهم غير معتقديه فى قلوبهم ، من مثل سب الدين وخلافه •

أما زعم ماسينيون أن البيت الأخير يكشف عن قرمطيــة المتنبى القــديمة ، إذ « إن السنى بل حتى الشيعى العــادى

ايجهلان عازر ، والقرامطة وحدهم هم الدين أخذوه وأسندوا إليه فى عقيدتهم دورا » فإن الواقع يكذبه تماما . ولا أدرى على أى أساس حكم بأن السنى بل والشيعى العادى كانا يجهلان عازر ولا يعرفان عنه شيئا . ولماذا ينفرد القرامطة فى رأيه بمعرفة هذه الشخصية التاريخية ؟ هل يظن ماسينيون مثلا أن المسلمين لم يكونوا يقرأون الأناجيل وبالتالى لا يعرفون شيئا عن عازر هذا ، الذى يقول الإنجيل عنه إنه أحد الذين أحياهم عيسى عليه السلام ؟ فكيف ألفوا فى اليهودية والنصرانية وقارنوا بينهما وبين الإسلام إذن ، إذا لم يكونوا قد قرأوا التوراة والإنجيل ؟ ثم ماذا يقول ماسينيون فى العكبرى مثلا ؟ أهو أيضا فى نظره قرمطى ؟ فإنه كان يعرف أن « عازر رجل من بنى إسرائيل ، هو الذى أحياه الله لعيسى بن مريم » . (٢١) وماذا فى هؤلاء المفسرين : النووى (صاحب التفسير المسمى « مراح لبيد » ، وهو سنى) ، الذى فسر قوله تعالى من سورة « آل عمران » على لسان عيسى عليه السلام : « وأحيى الموتى بإذن الله » بقوله : « أى بالاسم الأعظم ، وهو « يا حى يا قيوم » ، فأحيا أربعة أنفس : أحيا عازرا ، بعد موته بثلاثة أيام حتى عاش وولد له ... إلخ » (٢٢) والجلالين ، اللذين قالا فى تفسيره : « فأحيا عازر صديقا له ... إلخ » (٢٣) ، ونظام

(٢١) العكبرى /٢/١٩٨/هـ١٨ .
(٢٢) مراح لبيد / تفسير النووى /حـ١/٩٩ .
(٢٣) حاشية العلامة الصاوى على تفسير الجلالين /حـ١/١٥٥ .

الدين النيسابورى (صاحب تفسير « غرائب القرآن ورغائب الفرقان ») ، ونص كلامه : « وأحيى الموتى : أحيى عازرا ، وكان صديقا له ... » (٢٤) ، والطبرسى الشيعى ، الذى قال : « وقيل إنه أحيا أربعة أنفس : عازر ، وكان صديقا لـه . وكان قد مات منذ ثلاثة أيام ، فقال لأخته : انطلقى بنا إلى قبره . ثم قال : اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع ، إنك أرسلتنى إلى بنى إسرائيل أدعوهم إلى دينك ، وأخبرهـم بانى أحيى الموتى ، فأحى عازر ، فخرج من قبره ، وبقى وولد له » (٢٥) ؟ ثم (وهذا هو المهم) إن المتنبى حين أشار إلى إحياء عيسى عليه السلام لعازر إنما يعنى ، كما قلت قبلا ، أنه كان يعتقد فى وقوع تلك المعجزة ، بوصفه مسلما ، فقد وردت هذه الإشارة عنده مع إشارة أخرى إلى فلق البحر لموسى ، وإشارة ثالثة إلى إتيان الإسكندر الظلمات ، وهذه القصص الثـلاث ليست موجودة معا إلا فى القرآن ، وإن لم يذكر القرآن اسم عازر ولا اسم الإسكندر (٢٦) . أما ما يسنده القرامطة ، على حسب كلام ماسينيون ، إلى عازر هذا من دور فى عقائدهم فلا وجود له فى بيت المتنبى .

---

(٢٤) انظر تفسير النيسابورى ، على هامش تفسير الطبرى / حـ٣/١٩٦ .

(٢٥) تفسير الطبرسى /حـ٣/٨٧ .

(٢٦) انظر فى القصة الأخيرة الآيات / ٨٣ ـ ٩٨ من سورة « الكهف » . والقرآن هو الكتاب الوحيد بين الكتب الثلاثة (التوراة والإنجيل والقرآن) الذى وردت فيه هذه القصص كلها .

ومن الألفاظ التى يقول ماسينيون إن المتنبى قد أخذها من القرامطة كلمة « شيخ » ، وذلك فى البيت الأخير من الأبيات التالية :

لأتركن وجوه الخيل ساهمة
والحرب أقوم من ساق على قدم
والطعن يحرقها ، والزجر يقلقها
حتى كأن بها ضربا من اللمم
قد كلمتها العوالى فهى كالحة
كأنما الصاب مذرور على اللجم
بكل منصلت ما زال منتظرى
حتى أدلت له من دولة الخدم
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة
ويستحل دم الحجاج فى الحرم

فعنده أن « الشيخ » هو مصطلح قرمطى معناه « الزعيم » . والواقع أن عددا من كبار شارحى ديوان المتنبى يخطئون من يفسر « الشيخ » فى هذا البيت بأنه « واحد الشيوخ من البشر » ، ويرون أن المقصود به هو « السيف » ، ومن هؤلاء ابن القطاع والواحدى والخطيب وأبو العلاء (٢٧) ،

---

(٢٧) لاحظ أن أبا العلاء المدعى عليه من قبل ماسينيون أنه هو أيضا إسماعيلى يرى أن « الشيخ » هنا معناه « السيف » . ولو كان يعنى « زعيما قرمطيا » لكان أول المبادرين ، بوصفه إسماعيليا (والقرامطة إسماعيلية) ، بإعطاء الكلمة هذا المعنى .

والعكبرى أيضا فيما يفهم من سياق كلامه فى شرح البيت [٢٨] . وإنى أرى أن السياق يوافق هذا التفسير ، إذ سواء أعربنا « شيخ » على أنها بدل من « منصلت » أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره « هو » يعود على « منصلت » ، فإن « منصلت » هى فى الأصل وصف لنسيف ، وإن كانت تستعار للإنسان . فهذه واحدة ، أما الثانية فإننا لو قلنا إن « شيخ » معناها « زعيم قرمطى » (ومثلها طبعا « منصلت ») كما يريدنا ماسينيون أن نفعل ، فمعنى ذلك أن المتنبى يقول إن زعماء القرامطة كانوا ينتظرونه ليديل لهم من دولة الخدم ، فهل يعقل ، لو كان قرمطيا حقا ، أن يعكس الآية ، فيجعل زعماء القرامطة يتبعونه ويأتمرون بأمره ويتنظرون عونه ، وهو الصبى المدقع المحروم كما تشير هذه الأبيات (وهى من القصيدة نفسها) :

لـم الليالى التى أخنت على جدتى
برقـة الحـال ، واعذرنى ولا تلم

أرى أناسا ومحصولى على غنـم
وذكر جود ومحصولى على الكلـم

ورب مـال فقـيرا مـن مروتـه
لـم يثر منها كما أثرى من العدم ؟

---

(٢٨) انظر العكبرى /٤/٤٢/هـ٢٣ . وفيه أن الشيخ اسم من أسماء السيف ، ومن أسمائه أيضا العجوز . وقد سمى كذلك لأن السيف يمدح بقدمه ، أو تشبيها لبياضه بالشيب .

ولنفترض أن كلمة « شيخ » قد أريد بها فعلا « واحد الشيوخ من البشر » ، فلم لا يكون معناها هو الشيخ العادى ؟ إن معنى تفسير ماسينيون لكلمة « شيخ » أن المتنبى كان زعيما كبيرا من زعماء القرامطة وقائدا عسكريا ذا سلطان فيهم ، فكيف لا نجد عنه شيئا فى ما كتب عن القرامطة وقوادهم وحروبهم (٢٩) ؟ هذا إن سلمنا بأن هذا الصبى الغريب الذى لا عصبية له ولا مال يمكن أن يكون قائدا لزعماء القرامطة . ربما تأثر المتنبى بما سمعه عن الحوادث الفظيعة التى ارتكبها القرامطة فهدد بمثلها ، لكن ينبغى أن ننبه إلى أن ثورته فى قصائده إنما هى ثورة الفقر والعجز والحرمان ، ثورة صبى على ظروفه السيئة التى ولد فيها ، والتى كان يرى أن مواهبه تؤهله لما هو أفضل منها ، فهى ثورة فردية شخصية لا أكثر . وقد هدأ أوراها عندما جرى المال فى يديه ، وقربه الملوك إليهم . ثم إن البيتين الأخيرين فى هذه القصيدة ليدلان على أن الأمر كله لم يكن أكثر من كلام فى كلام . إنه يقول :

ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا

ومن عصى من ملوك العرب والعجم

---

(٢٩) انظر كتابى « المتنبى ـ دراسة جديدة لحياته وشخصيته » / ١٢٧ ـ ١٤٧ ، حيث بينت انه لا يمكن أن يكون قد قام بثورة ، قرمطية كانت أو غير قرمطية

فإن أجابوا فما قصدى بها لهمو
وإن تولوا فما أرضى لها بهمو

والذى نعرفه أن هذا « الغد » لم يأت أبدا . علاوة على أن البيت الأخير ينسف هذا التهديد نسفا ، فهو يقول : إن ملوك العرب والعجم إن استجابوا لى تركتهم وعفوت عنهم ، أما إن تولوا فإننى لا أرضى بهم طعاما لشفرة سيفى . أى أنه فى الحالين لن يمسهم بسوء (٣٠) . والطريف أنه بينما يقول إن ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا مع من عصى من ملوك العرب والعجم ، نراه يقول إنه قد (أدال) لكل منصلت من دولة الخدم ، يعنى أن ذلك تم وانتهى الأمر . فانظر هذا التناقض ، الذى يدل على أن الأمر لم يكن يعدو الكلام .

ويستمر ماسينيون فى عد الألفاظ والمصطلحات التى يرى أن المتنبى قد أخذها من الإسماعيليين ، فيذكر عبارتى : « قدس الله روحه » و « الفلك الدوار » ، اللتين ينسبهما إلى إخوان الصفا (وهم من الإسماعيليين) . غير أن ماسينيون ينسى أن إخوان الصفا لم يظهروا على ساحة الفكر الإسلامى إلا بعد موت المتنبى ، فكان المفروض ، بناء على هذه الطريقة من

---

(٣٠) انظر العكبرى /٤/٤٤/هـ٣١ حيث يفسر الشطرة الأخيرة هكذا : « وإن أدبروا عنى فلا أقتصر على قتلهم وحدهم ، بل أقتلهم وقوما آخرين » ، وهو كما ترى تفسير لا يسعف البيت عليه أبدا .

التفكير ، أن يعكس الآية ويقول إن إخوان الصفا هم الذين أخذوا هذين التعبيرين من المتنبى • لقد لاحظت فعلا أن هذه العبارة تتردد فى بعض كتب الإسماعيلية التى اطلعت عليها ، مثل « سيرة الأستاذ جوذر » (٣١) و « السجلات المستنصرية » (٣٢) ، و « دعائم الإسلام » للقاضى النعمان ابن محمد ، إذ كتبت فى صفحة العنوان الداخلية بعد اسمه هذه العبارة : « قدس الله روحه ورزقنا شفاعته » • ولكن ، هل كل من يستعمل هذه العبارة هو بالضرورة إسماعيلي ؟ لقد صادفتها عند الطبرسى (وهو مفسر شيعى معتدل من القرن السادس الهجرى) فى تفسيره « مجمع البيان » أكثر من مرة (د/٤ ص/٨٩ ، ١٠٦ مثلا) ، وكذلك عند القاشانى الصوفى (من القرن الثامن الهجرى) ، وذلك فى كتابه « اصطلاحات الصوفية » (ص ٧٥ ، ٨٥ • وكذلك « قدس الله سره » ص / ١٥٧) • إذن فهذا الدعاء ليس مقصورا على الإسماعيليين • ثم كم مرة استعملها المتنبى ؟ إن ماسينيون يشير إلى موضع واحد ، بما يعنى أن المتنبى لم يستعملها إلا مرة واحدة فقط ، فهل معنى استعمال شخص لعبارة ما خاصة بمذهب معين مرة واحدة (إن صح أنها مقصورة على الإسماعيليين ، وهو غير صحيح) ، أنه ينتمى إلى هذا المذهب ؟ ما أكثر ما نستخدم مصطلحات مثل « الرجعية » و « الحتمية

---

(٣١) ص / ٣ ، ٥٣ ، ٦١ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٧٦ مثلا •

(٣٢) انظر صفحة العنوان حيث وردت العبارة التالية : « قدس الله أرواح جميع المؤمنين » •

التاريخية » ، أفيمكن أن يتخذ هذا دليلا على أننا ماركسيون أو على الأقل يساريون ؟ ولمصطفى السباعى (وهو من الإخوان المسلمين) كتاب بعنوان « اشتراكية الإسلام » ، وللعقاد كتاب عنوانه « الديمقراطية فى الإسلام » ، وهذا المصطلحان يعنيان فى الفكر السياسى الغربي شيئا مختلفا عما قصده السباعى والعقاد • هذا ، وعبارة « قدس الله روحه » إنما هى عبارة دعائية ، وليست مصطلحا عقيديا مثلا ، وليس فيها أدنى مصادمه لعقائد الإسلام أو شرائعه • وبقليل من التفكير نرى أنها مأخوذة من تسمية « الروح القدس » ، التى تطلق فى فى القرآن الكريم على جبريل عليه السلام • على أن هذه ليست هى العبارة الدعائية الوحيدة التى قابلتنى فى كتابات الإسماعيليين ، فهناك أيضا « صلوات الله عليه » (بالنسبة للخلفاء الفاطميين) (٣٣) و « رضى الله عنه » (٣٤) ، و « صانه الله » ، (٣٥) و « صانك الله وسلمك » (٣٦) ، و « أيدك الله وإيانا بروح منه » (٣٧) ، و « أنار الله برهانك » (٣٨) • ولم يرد

(٣٣) انظر مثلا سيرة الأستاذ جوذر /٣ ، ٤ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ••• إلخ •

(٣٤) سيرة الأستاذ جوذر / ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ١٢٨ مثلا •

(٣٥) سيرة الأستاذ جوذر / ٣٥ مثلا •

(٣٦) سيرة الأستاذ جوذر / ٦٠ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٣ ، ١٢٢ ••• إلخ •

(٣٧) رسائل إخوان الصفا /حـ٣/ ٣ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، و حـ٤/ ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ١٨٥ ، ١٧٨ ، ٢٣٥ ، ٢٣٠ ••• إلخ •

(٣٨) رسائل إخوان الصفا /حـ٣/ ٦٣ مثلا •

فى شعر المتنبى من هذه الأدعية إلا قولـــه فى المغيـــث بن بشير العجلى :

وأعطيت الذى لـــم يعـــط خلـــق
عليـــك صـــلاة ربـــك والســـلام

وقوله فى سيف الدولة :

على وجهـــك الميمون فى كل غـــارة
صـــلاة تـــوالى منهمـــو وســـلام

وهـــو دعـــاء مستعمل كثيرا على ألســـنة الشعراء • على أن ثمة فرقا بينه عند المتنبى وغيره من الشعراء غير الإسماعيليين من جهة وبينه عنـــد الإسماعيليين من جهـــة أخـــرى ، فهؤلاء يستعملونه فى أئمتهم وخلفائهم فقط • كذلك لابد أن نعرف أن المتنبى لو كان إسماعيليا لورد اسمه (بهذه الصفة) فى الغـــالب فى كتابات إخوان الصفا •

وبعد ، فهذا هو السياق الذى وردت فيه هذه العبارة على لسان المتنبى : أولا ، لم ترد هذه العبارة فى شعره ، بل أوردها البديعى فى حوار للشاعر مع الحاتمى ، أكثر فيه هذا من الثناء على أبى تمـــام وشعره إغاظـــة للمتنبى ، الذى قـــال منفجرا (والعهدة على الحاتمى) : « أكثرت من أبى تمام ، فلا قدس الله روح أبى تمام ! » فرد عليـــه الحاتمى : « لا قدس الله روح السارق منه الواقع فيه ! » • وثانيا : لقد استعمل الحاتمى نفس العبارة هو أيضا ، فهل تراه كان هو أيضا إسماعيليا ؟ وثالثا : لقد مرت العبارة دون أن تثير فى نفس الحاتمى أى قدر

من الاستغراب ، بل مضى يسأل المتنبى عن أصل اشتقاقها قائلا : « ما الفرق فى لغة العرب بين التقديس والقداس والقادس ؟ ... إلخ » (٣٩) . وهو ما يدل على أن هذه العبارة هى مجرد عبارة عادية لا تستحق كل هذه الطنطنة التى أثارها ماسينيون ! على أن المسألة لا تنتهى عند هدا الحد ، فإن العبارة ، كما وردت فى « الرسالة الحاتمية » هى : « لا قدس الله أبام تمام وذويه » . وكان رد الحاتمى هو : « ولا قدس الله السارق منه والواقع فيه » (٤٠) . أما فى « الرسالة الموضحة » (للحاتمى) ، التى تعد « الرسالة الحاتمية » تلخيصا لها بمعنى من المعانى ، فليس فيها هذه المشادة (بين المتنبى والحاتمى) التى انفجر فيها الشاعر غضبا ولا العبارة الدعائية التى نسبت إليه (٤١) . فأين الحقيقة فى هذا كله ؟ إن د. محمد يوسف نجم ، محقق « الرسالة الموضحة » يقول : « ويبدو لى ، بعد دراسة « الموضحة » وتتبع مجالسها وما دار فيها من مناظرة وجدل ، أن الحاتمى ردد فيها النظر مرات عدة قبل أن تستقر على هذه الصورة التى ننشرها بها » (٤٢) . وقال فى موضع

---

(٣٩) انظر البديعى / ١٤١ .

(٤٠) انظر « الرسالة الحاتمية » (فى ذيل كتاب « الإبانة عن سرقات المتنبى » للعميدى / ٢٦٨) .

(٤١) انظر « الرسالة الموضحة » / ١٦٠ ـ ١٦٢ ، حيث وردت أبيات أبى تمام البائية التى أثارت هذه المشادة على رواية « الرسالة الحاتمية » و « الصبح المنبى ») .

(٤٢) مقدمة « الرسالة الموضحة » / ل ـ م .

آخر : « وأورد بعض هذه المصادر (التى ترجمت للحاتمى) نتفا منها تدلنا على أن المصنفين القدامى عرفوا منها نصين : النص الذى ننشره ويبدو أن ما نقله ابن خلكان فى « الوفيات » واليافعى فى « مرآة الجنان » مأخوذ عن نسخة منه ، ونصا آخر أورده ياقوت فى « إرشاد الأريب » ، وتبعه فى ذلك البديعى فى « الصبح المنبى » ••• وتدل الاستشهادات الشعرية والقضايا النقدية التى وردت فى هذا النص على أنه كان بين أيدى الناس نصان من هذه الرسالة ، أحدهما موجز ، وهو الذى أورده ياقوت ، وآخر مطول منقح ، وهو نصنا هذا الذى نقل منه ابن خلكان » (٤٣) •

فهأنتذا ترى أنه ليس عندنا دليل قاطع ولا حتى مرجح على أن المتنبى قد قال هذه العبارة ، وبخاصة أن هذه هى المرة الوحيدة التى قيل إنها جرت فيها على لسانه • ولا ننس أن الحاتمى كان غرضه التشنيع على المتنبى تقربا إلى الوزير المهلبى ، الذى تعاظم المتنبى عن مدحه حين ورد على بغداد ، وباد فى رسالته هذه شدة التحامل على الشاعر ، حتى إنه ليجعله دائما ينهزم فى كل خلاف لغوى أو نقدى جرى بينهما • فمثل هذه الظروف تجعلنا نغلب أن الحاتمى قد ترك لخياله العنان ، فاخترع أشياء كثيرة ونسبها إلى المتنبى • وإلا فلم حذف العبارة التى نحن بصددها من « الرسالة الموضحة » ؟

---

(٤٣) مقدمة « الرسالة الموضحة » / ن – ع •

أو لعل الرواة والنساخ قد تزيدوا فى الكلام فأضافوا هـذه العبارة إلى المتنبى ليصبغوا الموقف بصبغة مسرحية • ولنفترض بعد هذا كله أن المتنبى قـد قال هـذه العبارة فعـلا ، فماذا إذن (٤٤) ؟

أما عبارة « الفلك الدوار » فقد وردت فى البيت التـالى للمتنبى فى كافور :

لو الفلكِ الدوار (٤٥) أبغضت سعيه

لعوقـه شىء عـن الـدوران

ولا أدرى لمـاذا يقصر ماسينيون هـذه العبـارة على « إخوان الصفا » • إنها مصطلح فلكى من مصطلحات ذلك العصر ، فإذا جاء المتنبى واستعملها فماذا فيها مما يجعله إسماعيليا ؟ (مرة أخرى ، لاحظ أن شعر المتنبى وهو السابق على كتابات إخوان الصفا لا العكس) • ولقد بحثت فى عدد من المعاجم الموسـعة فى مادة « فلك » و « دور » عن شىء يدل على أن لهذه العبارة شيئا من الخصوصية التى يسبغها عليها ماسينيون فلم أجد من ذلك شيئا • وكل ما وجدته هو قول صاحب « محيط المحيط »

---

(٤٤) ارجع إلى ما قلناه فى الفقرة السابقة •

(٤٥) وردت هذه العبارة أيضا فى القرآن المزعـوم الذى نسبته بعض الروايات إلى المتنبى (هكذا : والليل والنهار ، والفلك الدوار ، إن الكافر لفى أخطار) • وقد سبق أن رددنا هذا كلـه وحللناه بتفصيل شديد فى كتابنا « المتنبى ـ دراسة جديدة لحيـاته وشخصيته » / ١٠٦ ـ ١٠٧ ، مما يغنينى عن إعادة القول فيه هنا •

(فى مادة « دور ») : « ودوران الكواكب مسيرها وانتقالها من جهة إلى أخرى . ومنه قول أبى الطيب :

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه
لعوقه شيء عن الدوران »

ولنلاحظ أيضا أنه قال ذلك فى كافور (السنى) ، ولم يقله فى المعز لدين الله (الفاطمى) مثلا .

ويولى ماسينيون أيضا كلمة « الثقلان » فى شعر المتنبى أهمية شديدة ، إذ يرى أنه لم يستعملها بمعنى « الجن والإنس » بل بمعنى « القرآن والعترة (النبوية) » . والحقيقة أنه لو صح أن المتنبى إنما استعمل هذه اللفظة فى المعنى الذى زعمه ماسينيون فإننى لا أستطيع أن أجد فيها ما يدل على إسماعيليته . لقد ورد فى أحد الأحاديث النبوية : « إنى تارك فيكم الثقلين . القرآن وعترتى » ، وإذن فلو كان المتنبى قد قصد هذا المعنى لكان متابعا فى ذلك الحديث النبوى الشريف . أم ترى النبى عليه الصلاة والسلام كان إسماعيليا ؟ على أن المتنبى فى كل مرة استعمل فيها هذه الكلمة إنما عنى « الجن والإنس » ، وهو المعنى الذى استخدمها فيه القرآن الكريم (٤٦) . وهذه هى الأبيات التى تنبهت لاستخدامه هذه الكلمة فيها : قال يمدح شجاع بن محمد الطائى المنبجى :

---

(٤٦) فى آية : « سنفرغ لكم أيها الثقلان » / الرحمن / ٣١ .

أنـــى يكـــون أبـــا البريـــة آدم

وأبـــوك والثقلان أنت محمـــد ؟

وقال لسيف الدولة :

وتمـــلك أنفـــس الثقلـــين طـــرا

فكيف تحـــوز أنفسهـــا كـــلاب

وقال لكافور :

فمـــالك تختـــار القسى وإنمـــــا

عن السعد يرمى دونـــك الثقلان ؟

هل يعقل لو كان المتنبى إسماعيليا أن يســـوى بين شجاع ابن محمد الطائى وبين القرآن والعترة ؟ ثم كيف يحوز سيف الدولة أنفس القرآن والعترة النبوية (إن كان للقرآن أصـــلا نفس تحاز) ؟ وكيف يرمى القرآن والعترة عن كافور ؟ وماذا يقول ماسينيون فى ابن هانىء (وهو شاعر إسماعيلى) ، الذى يستخدم هذه الكلمة بمعنى « الجن والبشر » بنص كلامه ، إذ قال فى المتنبى وشعره محاولا الغض منهما :

فقـــد حملتـــم عليـــه فى قصائده

ما يضحك الثقلين : الجن والبشرا ؟

ومـــاذا يقـــول فى المعز لدين الله والقائم الخليفتين الفاطميين ، وقد استعملاها بمعنى « الإنس والجن » أيضا (٤٧) ؟

(٤٧) انظر سيرة الأستاذ جوذر / ٥٥ ، ٧٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧ .

ويعد ماسينيون أيضـــا من مصطلحات الإسماعيلية التى استخدمها المتنبى فى شعره كلمة « المهدى » ، مع أن المتنبى قد استعمل هذه الكلمة فى التهكم على عقيدة المهدى . قال فى عضد الدولـــة :

فإن يكن المهــدى من بان هديــه
فهذا، وإلا فالهدى ذا، فما المهدى؟

يعللنا هــذا الزمان بــذا الوعــد
ويخــدع عما فى يديه من النقــد

هل الخير شىء ليس بالخير غائــب
أم الرشد شىء غائب ليس بالرشد؟

ولو كان قــد استخدمها فيما كان الإسماعيليون يستخدمونهــا فيه لكان قد قالها مثلا فى الخليفة الفاطمى (بالمغرب) فى ذلك الوقت لا فى عضد الدولة ، الذى لم يكن من نسل الهاشميين ، إذ ليست العبرة فى استخدام كلمــة ما ، وإنمــا فى استخدامها بمعناها الاصطلاحى المذهبى ، وفى الشخص الذى وضعت له .

ومثل « المهدى » فى ذلك كلمة « القــائم » ، التى يرى ماسينيون أنها من الألفاظ التى يستعملها الإسماعيليون ، مع أنها تكثر فى الشعر القديم عموما . وعلى أية حال فهذا هــو البيت الذى يشير إليه ماسينيون ، وهو فى مدح سيف الدولة :

القائم الملك الهـادى الذى شهدت

قيـامه وهـداه العرب والعجـم

وسيف الدولة ليس من سلالة بنى هاشم ، حتى يقـال إن المتنبى قد استخدم هذه الكلمة بمعناها الاصطلاحى عنـد الإسماعيلية . و « القيام » الذى يشير إليه المتنبى هنا هـو نهوض الأمير الحمـدانى لحـرب الروم ، كمـا يشير سـياق القصـيدة .

وما قلناه عن كلمتى « المهدى » و « القائم » نقوله عن كلمة « خلف » (بفتحتين) ، وذلك فى قول المتنبى يرثى فاتكا أبا شجاع (الذى كان منافسالكافور فى مصر ، وإن لم يكن له دهاؤه وحسن تخطيطه وطول أناته) :

لافاتك آخـر فى مصـر نقصـده

ولا لـه خلـف فى النـاس كلهم

إذ هى فى البيت لا تتصـل على أى توجيـه بالمعنى الذى يريد ماسينيون أن يحملها إياه اعتسافا ، فالمتنبى ببساطة يقول إنه لا يوجد فى مصر نظير لأبى شجاع فى كرمه .

أمـا كلمـة « خميس » ، التى يحـاول أن يربطها بعلى ابن أبى طالب فهى من الكلمات التى تشيع فى الشعر العـربى قديمه وحديثه ، ولا ينفرد بها الإسماعيليون حتى يقـال إن

لاستعمال المتنبي لها دلالة على أنه منهم . ولا أظن الأمر محتاجا إلى أي استشهاد ، فهو مشهور متعالم .

ومن الكلمات التي يعطيها ماسينيون ما ليس بحقها كلمة « كوفان » ، التي وردت في البيت التالي للمتنبي في سيف الدولة :

ابن المعفر في نجد فوارسها
بسيفه وله كوفان والحرم

مع أنها لغة أخرى في (الكوفة) ليست خاصة بالإسماعيليين كما يتوهم (٤٨) . وإذا كان يقول إن هذا الاسم قد ورد في « ملحمة سلمان » ، فإننا نقول : وقد وردت أيضا في بيت شعر لابن لنكك يهجو فيه المتنبي :

متنبيكم ابن سقاء كوفا
ن ويوحى من الكنيف إليه

فهل كان ابن لنكك إسماعيليا أيضا ؟ وإن كان فلماذا يعادي المتنبي (الإسماعيلي) لحساب من ليسوا إسماعيليين ؟ وبالمناسبة

---

(٤٨) ليس هذا فقط ، بل هناك لغة ثالثة فيها هي « كوفان » ، بفتح الكاف وسكون الواو . انظر الفيروزابادي / القاموس المحيط ، وكذلك البستاني « محيط المحيط » / مادة « ك و ف » . بل إن صاحب « لسان العرب (مادة « ك و ف » ص / ٣٩٥٦ / النهر الثالث) ينقل عن اللحياني والكسائي أن الكوفة كانت تدعى أولا « كوفان » ، يعني قبل أن يوجد الإسماعيليون أصلا . فما رأي ماسينيون ؟

فالمتنبى فى البيت الذى نحن بصدده يشير إلى إيقاع أبى الهيجاء والد سيف الدولة بالقرامطة فى نجد ، أعنى أن البيت نفسه يدل على أن المتنبى ليس قرمطيا (والقرامطة إسماعيليون) ، بل يشمت بالقرامطة ويحقرهم ، ويمـــدح عدوهـــم الذى جندلهم وعفرهم (٤٩) .

ومما يتشبث به ماسينيون متصورا أنه يدل على أن المتنبى إسماعيلى كلمة « نيروزنا » فى قوله يخاطب ابن العميد :

جــاء نيروزنــا وأنــت مــراده
وورت بالــــذى أراد زنــــاده

وأنا ، فى واقـــع الأمر ، لا أدرى ماذا يقصـــد ماسينيون بالضبط . أيقصد أن المتنبى استعمل كلمة « نيروز » ؟ ولكن ماذا فيها ؟ أم يقصد أنه أضافها إلى نفســـه : « نيروزنا » ؟ فماذا فى هـــذه أيضا يدل على أنـــه إسماعيلى ؟ هل يقصـــد أن « النيروز » مقدس (هو ويوم « المهرجان ») عند القرامطة ، إذ يصومون فيهما ولا يصومون غيرهما ؟ (٥٠) ولكن ليس فى الأبيـــات شىء من هـــذا . عـــلاوة على أن كثيرا من الشعراء العباسيين كانوا يحتفون بعيـــد النيروز ويذكرونه فى شعرهـــم كثيرا . ونحن المسلمين فى مصر نحتفل بعيد « شم النسيم » ،

---

(٤٩) انظر العكبرى /٤/٢٦/هـ٥٣ .
(٥٠) انظر فى ذلك سعد محمد حسن / المهدية فى الإسلام / ١٧٢ .

ورأس السنة الميلادية . وكنا نحتفل حتى وقت قريب بـ « وفاء النيل » ، ولا يقدح ذلك فى إسلامنا . وينبغى أن نلاحظ أنه إذا كان المتنبى قد هلل للنيروز فإنه قد حقر كسرى وملكه بالقياس إلى ملك عضد الدولة ، الذى مدحه بأنه « عربى لسانه » . وفى هذا من الدلالة ما فيه (٥١) . وعلى كل فالقصيدة كلهـا مجاملة لابن العميد الذى نظمت فيه القصيدة ، اللهم إلا إذا قلنا إن ابن العميد كان قرمطيا ! وهذا ظاهر السخف .

على أن أسخف ما قال ماسينيون هو أن المتنبى باستعماله كلمة : « سلسال » إنما قصد أن يشير ، بحسب الجفر ، إلى الرقم الذى تشير إليه حروف كلمة « سلمان » ، وهو (١٨١) . فلم اختار ماسينيون هذه الكلمة بالذات من بين عشرات الآلاف الكلمـات فى شعر المتنبى ؟ وإذا كان المتنبى يستعين بحساب الجفر أفلم يكن ينبغى أن يكون ذلك مطردا فى شعره أم إن هذه الكلمة هى بيضة الديك ، كما يقولون ؟ وكيف عرف ماسينيون أن هذه الكلمة وحدها من كل شعر المتنبى هى كذلك ؟ بل كيف عرف أن المتنبى قد قصد إلى هذا ؟ ثم إن كان قد قصد ذلك فما معناه ؟ وهل كان المتنبى عاجزا عن أن يذكر اسم « سلمان » صراحة ، وهو الذى لم يكن يورى أو يدارى فى تعبيراته ؟ وماذا فى كلمة « سلمان » يدل على أن المتنبي إسماعيلى ؟ أ إلى هذا الدرك الأسـفل تتدهدى الدراسة العلميـة على أيدى بعض

---

(٥١) انظر ديوان المتنبى / ٥٢٧ / بيت ٧ ، ٨ .

أناس ؟ إن مثل هذا الأسلوب يفتح الباب على مصراعيه لأى إنسان ليقول أى شىء • على أن البيت الذى وردت فيه هذه الكلمة إنما يدل على عكس ما يريد ماسينيون أن يلوى رقبته إليه ، وهذا هو (وهو من قصيدة فى مدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكى) :

أنت طورا أمر من ناقع السم
وطورا أحلى من السلسال

فإذا كانت كلمة « السلسال » تعنى عند ماسينيون « سلمان » (سلمان الفارسى فيما أقدر ، وهو من شيعة على رضى الله عنهما) فإن معنى الكلام حينئذ هو أن هذا الأنطاكى أفضل من سلمان ، فهل هذا ما يريد ماسينيون ؟ لا إخال ، لأن هذه النتيجة تقلب فكرته رأسا على عقب •

ويدعى ماسينيون أن المتنبى قد استخدم كلمة « البداء » (ومعناها أن الله سبحانه بعد أن يقضى شيئا ويقدره يعود فيغيره بعد أن يبدو له أن غيره أفضل منه)• وهذا هو البيت الذى أحسب أن ماسينيون يقصده ، وهو من قصيدة يمدح بها أبا هارون الأوراجى المتصوف :

أبدأت شيئا ليس يعرف بدؤه
وأعدت حتى أنكر الإبداء (٥٢)

(٥٢) « يعرف » و « انكر » : بالبناء للمجهول •

ومعنى البيت كما جاء فى الديوان هو : « أحدثت من أفعال الكرم ما لم يكن محدثا من قبل ، ثم كررته حتى تسى حدوثه » (٥٣) . فهل ترى فى البيت أية صلة بـ « البداء » ؟ إن كلمة « البداء » لم ترد فيه أصلا .

ويمضى ماسينيون فيقول إن البيت التالى للمتنبى :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

يشير إلى الخلاف بين شيعة الكوفة حول تفضيل الميم « محمد » أو العين « على » ، فإن الشمس فى علم الفلك عند الشيعيين تعنى محمدا ، والقمر عليا ، والزهراء فاطمة ، والفرقدين الحسن والحسين . وهذا فهم خاطىء تماما للبيت ، فقد تكرر استعمال المتنبى لهاتين اللفظتين فى سياق تشبيه حبيباته وممدوحيه ببعض الكواكب والنجوم ، وليس فى أى سياق عقيدى . بل إنه كان يشبه الحبيبة أو الممدوح من هؤلاء بالشمس والقمر معا ، وليس من المعقول أنه كان يفضل الحبيبة والممدوح على نفسيهما . كما أنه كثيرا ما فضل ممدوحيه على

---

(٥٣) الديوان /١٢٨/هـ٧ . ونفس الشرح فى العكبرى مع بعض الاختلاف فى العبارة (١/٢٩/٣٨) ، وإن كنت أرى أن « أنكر الإبداء » معناها أن ما كان كرما عظيما فى البداية أصبح ، بعد أن ارتقى الممدوح فى سلم الكرم درجات ودرجات ، شيئا تافها ينكره من يسمع بـه .

الشمس ، فهل معنى ذلك أنهم فى نظره أفضل من الرسول عليه الصلاة والسلام ؟ ثم إنه فى أحد أبياته قد وصم الشمس بعدم الحياء ، وفى بيت آخر جعلها تحسد ممدوحه ، وفى بيت ثالث تمنى أن تزول الشمس وتبقى خولة أخت سيف الدولة ، وفى بيت رابع نجده يقول إن السها والفراقد (لاحظ أن « الفرقدين » يعنيان الحسن والحسين ، كما قال ، وكما يريدنا أن نفهم شعر المتنبى) تلومه على حبه للشمس والبدر (الشمس كما يقـــول ماسينيون هى محمد ، والبدر ، أو القمر ، هو على • لاحظ) • وهذا كله يقوض فكرة ماسينيون وطريقته فى فهم الأبيـــات وتوجيهها (٥٤) •

وتبقى من الألفاظ والعبارات التى زعم ماسينيون أنهـــا تثبت إسماعيلية المتنبى عبارة « أيا خدد الله ورد الخدود ! » ، التى تذكر باسم من أسماء الله ورد فى « الرسالة الططنجيه » لغلاة الشيعة ، وهو « مخدد الأخدود » ، مع أنه لا علاقة بين العبارتين ، فالمتنبى يدعو على الحسان أن يشوه الله جمالهن ويمزق خدودهن • وهذا هو البيت الذى وردت فيه هذه العبارة كامـــلا :

---

(٥٤) عالجت هذه المسالة بالتفصيل فى كتـــابى « المتنبى ـ دراسة جديدة لحياته وشخصيته » / ٢١٤ ـ ٢١٦ ، وكذلك فى كتابى « لغة المتنبى ـ دراسة تحليلية / ٢٨٦ ـ ٢٨٨ •

أيـا خـدد الله ورد الخـدود

وقـد قـدود الحسـان القـدود

فها هنا ، كما ترى ، حسان وخدود ، وهناك نار وأخدود (وذلك إن صح ما قاله ماسينيون ، فإنه يشير إلى مخطوط فى باريس يقول إن فيه هذه التسمية ، وهـذا المخطـوط ليس فى أيدينا) . ونظرة سريعة إلى البيت ترينا أن المسألة كلها عند المتنبى أساسها رغبته فى استغلال الجناس فى التعبير عن سخطه على الحال التى كان فيها ، إذ كان مرميا آنئذ فى السجن ، فهو يريد أن يقول : ليس الأوان أوان غزل ونساء ! وسوف نراه يفتتح قصيدة له أخـرى قالها فى ظروف مشابهة بعد بضـع عشرات من السنين ، بتفضيل النوق السريعة التى تحمله بعيدًا عن أظافير كافور وعيونه على النساء اللاتى يمشين فى غنـج ودلال ، لأن الوقـت ليس وقت غزل وحب ، بل هى مسألة حيـاة أو موت ، مما يدل على أن الأمر ليست له علاقة بـ « مخـدد الأخدود » ، التى ذكرها ماسينيون ، بل بنفسية المتنبى الزاهدة فى الحديث عن النسـاء أو التغـزل فيهن فى ظـروف السجن والهرب . كذلك فإن الجناس غير مقصور على قوله : « خـدد الله ورد الخدود » ، بل هو موجود أيضا ، وبأوضح من ذلك ، فى قوله فى الشطرة الثانية : « وقد قدود الحسان القدود » ، مما ينـم على أن نقطـة انطـلاق المتنبى هى « الخـدود » (و « القدود » أيضـا) لا « مخدد الأخـدود » كما زعـم

ماسينيون . ويعضد هذا تكرر استعمال المتنبي لكلمة « خدود » كثيرا ، كما في قوله في صباه :

كم قتيل كما قتلت شهيد
لبياض الطلى وورد الخدود

وقوله في قوم محمد بن إسحاق التنوخي وحزنهم عليه :

تدمى خدودهم الدموع ، وتنقضى
ساعات ليلهمو وهن دهور

وقوله في مدح أخيه الحسين بن إسحاق التنوخي :

وقد صارت الأجفان قرحى من البكا
وصارت بهارا في الخدود الشقائق

وقوله في مدح عبد الواحد بن العباس بن أبى الإصبع الكاتب :

أركائب الأحباب ، إن الأدمعا
تطس الخدود كما تطس اليرمعا

وقوله في قصيدة بدر بن عمار والأسد :

في الخد إن عزم الخليط رحيلا
مطر تزيد به الخدود محولا

وقوله في وصفة بركة :

حتى دخلنا جنة   لو أن ساكنها مخلد
خضراء حمراء الترا   ب كأنها فى خد أغيد

وقوله من قصيدة له فى سيف الدولة :

أينكر خدى دموعى وقد   جرت منه فى مسلك سابل ؟

وقوله فى رثاء ابن سيف الدولة :

تركت خدود الغانيات وفوقها
دموع تذيب الحسن فى الأعين النجل

وقوله فى وصف غلام : « وصدغاه فى خدى غلام مراهق »
وقوله من قصيدة له فى عضد الدولة :

إذا اشتبهت دموع فى خدود
تبين من بكى ممن تباكى

المسألة إذن مسألة « خدود » لا « أخدود » ! (٥٥)
والعبرة على كل حال بالسياق ، وإلا فهل يمكن أن نصنف البهاء زهير على أنه نبى وإمام لقوله فى أبيات غزلية ساحرة :

أنا فى الحب صاحب المعجزات
جئت للعاشقين بالآيات

---

(٥٥) بالمناسبة كثيرا ما يوصف الوجه فى اللغة العربية بأن فيه « أخاديد » ، دلالة على الهرم . ولا أدرى كيف غفل عنه ماسينيون فلم يبن عليه نظرية !

كـــان أهـــل الضـــرام قبلى أمييـــ
ـــــن حتى تلقفـــــوا كلمــــاتى

فأنـــا اليـــوم صاحب الوقت حقا
والمحبـــون شـــيعتى ودعـــاتى ؟

فهذا من الألفاظ والمصطلحات التى يتوهم ماسينيون أنهـــا ألفاظ ومصطلحات إسماعيلية وأن استخدام المتنبى لها دليـــل على أنه كان إسماعيليا . إن للإسماعيليين مصطلحاتهم وأفكارهم وعقائدهم الخاصة بهم ، ممـــا لا وجود لـــه فى شعر المتنبى . فـــ « الإمامة » مثلا «أهم عقيدة فى عقائد الفاطميين بل فى عقائد الشيعة عامة ، هى إحدى دعائم الإسلام ، بل الإمامة المحور الذى تدور عليه عقائد الشيعة ،فلا دين عندهم لمن لا يعتقـــد إمامة الأئمة المنصوص عليهم من أهل بيت الرسول ، ولا يقبـــل الله عمل مسلم إن لم يعتقد ويؤمن بولايتهم ويطيعهم مثـــــل طاعتهم للرسول الكريم وطاعتهم لله تعالى » (٥٦) . وليس فى شعر المتنبى شىء من هذا ولا ما يتصل به من قريب أو من بعيد ، كحق أهل البيت فى الخمس من الغنائم (٥٧) ، وما ينبغى من تولى من والى الأئمة ومحبته وعداوة من عاداهم وقطيعتـــه

---

(٥٦) د. محمد كامل حسين ، من مقدمته لـ « كتـــاب الهمة فى اداب اتباع الائمة » للقاضى النعمان بن محمد المغربى / ١٩ .

(٥٧) كتاب الهمة فى آداب اتباع الأئمة / ٦٨ . والغنائم هنا هى كل ما يكسبه المسلم .

وبغضه . ولسنا بحاجة إلى القول إنه والى من عاداهم ككافور مثلا ، بل إنه أطلق لفظ « الإمام » ، مرة على الأقل ، على الخليفة العباسى :

افتح الجفن ، واترك القول فى النو
م ، وميـز خطاب سـيف الإمام

فسيف الإمام هنا هو سيف الدولة ، وهذا اللقب قد أطلقه عليه الخليفة العباسى ، الذى هو المقصود بالإمام فى البيت (٥٩). ومن مصطلحات الفاطميين وعقائدهم التى يتميزون بها « الحدود الجسمانية » و « العقل الكلى » . « ذلك أن الفاطميين قد نزهوا الله عن كل الصفات ... أما أسماء الله الحسنى التى وردت فى القرآن الكريم فقد أولها الفاطميون على أنها أسماء وصفات « العقل الكلى » الذى هو أقرب الحدود الروحانية إليه تعالى ... وبناء على ذلك أول الفاطميون قوله

(٥٨) السابق / ٨١ وما بعدها .

(٥٩) انظر العكبرى /٣/٣٧٧/هـ٥ . وحتى لا يكون ثمة شك فى ذلك أسوق هذين البيتين اللذين يشير الشاعر فيهما إلى الخليفة العباسي وسيف الدولة :

فيا عجبا من دائل أنت سيفه
أما يتوقى شفرتى ما تقلدا ؟

انظر العكبرى /١/٢٨٧/هـ٢٥ . قارن ذلك بتسمية الأستاذ جوذر للمنصور (الخليفة الفاطمى) بـ « سيف أمير المؤمنين » ، ويقصد بـ « أمير المؤمنين » أبا المنصور (القائم) ، فقد كان الخليفة الفاطمى يسمى « أمير المؤمنين » . انظر سيرة الأستاذ جوذر / ٤٥ .

تعالى : « ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها » بأن المؤمن عليه أن يتقرب إلى الله ويعبده حق عبادته بمعرفة الحدود الروحانية (وهم الملائكة) المقربين إليه • وبناء على نظرية « المثل والمثول » » نجد حدودا جسمانية تقابل الحدود الروحانية • والنبى فى عصره هو الذى يقابل « العقل الكلى » • وصفات « العقل الكلى » تطلق على النبى • ولما كان « الإمام » هو خليفة النبى صلى الله عليه وسلم والقائم مقامه فتنطبق عليه أيضا هذه الصفات التى هى صفات وأسماء العقل الأول (الكلى) » (٦٠) • وليس عند المتنبى شىء من هذا كله • وإذا كانت كلمة « العقل » تتردد فى شعره ، كما تتردد فى شعر أى شاعر آخر ، فهو « العقل » البشرى العادى ، لا « العقل الأول » أو « العقل الكلى » من مثل قوله :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله
وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

وقوله :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم
أدنى إلى شرف من الإنسان

---

(٦٠) كتاب الهمة فى آداب اتباع الأئمة / ص ٢٦ من المقدمة• وانظر أيضا مقدمة د• محمد كامل حسين لديوان المؤيد لدين الله / ٥١ ، ٩٧ ـ ٩٨ •

ومن أسماء « العقل الكلى » عند الفاطميين « القلم » (٦١)، بينما لا يستعمل المتنبى هذه اللفظة إلا فى معناها العادى :

حتى رجعت وأقلامى قوائل لى :
المجد للسيف ، ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به
فإنما نحن للأسياف كالخدم

وإخوان الصفا مثلا يسمون الموت « البعث الأصغر » ، وذلك فى مقابل « البعث الأكبر » ، الذى يقصدون به عودة « النفس الكلية » إلى بارئها . وهذه « النفس الكلية » هى جماع « النفوس الفردية » التى تعود إليهما مطهرة بعد الموت (٦٢) . فهل فى شعر المتنبى شىء من هذا ؟

و « الجنة فى معتقد الإسماعيلية رمز إلى حالة النفس التى حصلت العلم الكامل ، ويرمز بالجحيم إلى حالة الجهالة » (٦٣) . والأمر بالعكس عند المتنبى ، فالعقل وإن كان يفرق بين الإنسان والحيوان هو منجبة الشقاء والهموم ، على حين أن الجهل مرادف للنعيم :

---

(٦١) انظر د. محمد كامل حسين / الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى أواخر الدولة الفاطمية / ١٦٦ .
(٦٢) انظر مادة « إخوان الصفا » فى « دائرة المعارف الإسلامية » (الترجمة العربية) / مجلد ٢ / ٤٥٣ ـ ٤٥٤ .
(٦٣) دائرة المعارف الإسلامية / مجلد ٣ / ٣٨٢ (من مادة « الإسماعيلية ») .

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله
وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

هذه ناحية ، والناحية الأخرى أن الأبيات التى ورد فيها عند المتنبى لفظ « الجنة » إنما تشير إلى أنه يقصد الجنة كما وردت فى القرآن :

فاطلب العز فى لظى واطلب الذ
ل ، ولو كان فى جنان الخلود

* * *

وزيارة عن غير موعد
كالغمض فى الجفن المسهد
معجت بنا فيها الجياد
د مع الأمير أبى محمد
حتى دخلنا جنة
لو أن ساكنها مخلد

* * *

يقول بشعب بوان حصانى :
أعن هذا يسار إلى الطعان ؟
أبوكم آدم سن المعاصى
وعلمكم مفارقة الجنان

ومما يختص به الفاطميون أيضا أنهم لا يعتبرون رؤية الهلال ، بل يجعلون الشهر الأول من السنة الهجرية (وهو المحرم) ثلاثين يوما ، والثاني تسعة وعشرين ، والثالث ثلاثين ، والرابع تسعة وعشرين ، وهكذا بالتناوب بقية شهور السنة . وعلى هذا فشعبان عندهم تسعة وعشرون ، ورمضان ثلاثون (٦٤) . ولكننا ننظر في شعر المتنبي فنجد أنه يتحدث عن رؤية الهلال حديث المحتفي المستبشر . يقول لسيف الدولة :

الصوم والفطر والأعياد والعصر
منيرة بك ، حتى الشمس والقمر

ترى الأهلة وجها عم نائله
فما يخص به من دونها البشر (٦٥)

ويقول في ابن العميد ، والرؤية هنا وإن كانت مجازية (لأن المقصود بالهلال هنا هو ابن العميد) فإن للكلام دلالته التي لا تخفى :

أفتى برؤيته الأنام وحاش لي
من أن أكون مقصرا أو مقصرا

---

(٦٤) انظر في ذلك د. محمد كامل حسين / ١٩ ـ ٢٠ من مقدمته لـ « سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة » .

(٦٥) ترى : بضم التاء وكسر الراء وعدها . و « الأهلة » و « وجها » : مفعولان . والفاعل تقديره « أنت » . يقصد سيف الدولة .

صنعت السوار لأى كــف بشــرت
بابن العميــد وأى عبـــد كبــرا

فالصورة إجمــالا ، وعناصرها تفصــيلا ، وشعور البهجـــة والاستبشار الذى يكتنفها ، كل ذلك مأخوذ من رؤية الهــلال الحقيقى ، التى لا يعتد بها الفاطميون ، بل يتابعون إمامهــم فى صومه وفطره ، بناء على القاعدة التى مر ذكرها (٦٦) • أما القرامطة فصيامهم يومان فى العام : النيروز والمهرجان (٦٧) •

وبالنسبة للأعداد نجد أن العدد « سبعة » يحتــل مكانة خاصــة فى الفكر الإسماعيلى ، فالكواكب السيارة ســبعة ، والأرضون سبع ، والأنبياء الناسخون للشرائع سبعة ، والأئمة عندهم سبعة • والمرة الوحيدة التى وجدت المتنبى قد ذكر فيها العدد (سبعة) كانت وصفا للسماوات السبع ، وذلك فى قوله يمدح على بن إبراهيم التنوخى :

فلمـــا جئتـــه أعــلى محــلى
وأجلسنى على الســبع الشــداد

---

(٦٦) انظر فى ذلك ايضا المقريزى / اتعـــاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا / ١٦٥/١هـ و د• محمد كامل حسين / الحياة الفكرية والادبية بمصر / ٦٦ ومقدمته لديوان المؤيد فى الدين / ٢٣/١هـ ، و ص / ٢٩ •
(٦٧) انظر سعد محمد حسن / المهدية فى الإسلام / ١٧٢ •
(٦٨) انظر سعد محمد حسن / المهــدية فى الإســلام / ١٤٥ ـ ١٤٦ •

و « السبع الشــداد » ، كمــا هــو معــروف ، تعبير قرآنى صميــم (٦٩) .

كذلك فقد « آمن إخــوان الصــفا بأن لحركات أشخاص الأفلاك أصواتا ونغمات ، وأن أشخاص الأفلاك هؤلاء هــم ملائكــة الله وخلص عبــاده ، يسمعون ويبصرون ويعقلون ، ويسبحون الليل والنهار لا يفترون . وتسبيحهم ألحان أطيب من قراءة داود للزبور فى المحراب ، ونغمات ألذ من نغمــات أوتار العيدان الفصيحة فى الإيوان العالى ... إلخ » (٧٠) . وليس فى شعر المتنبى شىء من ذلــك البتــة . وقــد درست موضوع « النجوم والكواكب » عنده دراسة مفصلة ، فلــم أجد فيه أدنى صدى لهذا (٧١) .

ويذكر برنارد لويس أن من عقائد الإسماعيلية « الأبوة الروحانية أو النكاح الروحى » (٧٢) ، ونحن نتساءل : لم لم يتخذ المتنبى هذه العقيدة لينسب نفسه إلى شخص عظيم ،

---

(٦٩) النبــأ / ١٢ (ونص الآية هو : « وبنينا فوقكم سبعا شدادا ») .

(٧٠) د. على سامى النشار / نشــأة الفكر الفلسفى فى الإسلام /حـ١/ ١١٠ . وانظر رسائل إخوان الصفا /حـ١/ ١٥٢ ، ١٦٨ .

(٧١) انظر كتابى « لغة المتنبى ـ دراسة تحليلية » / ٢٧٦ ـ ٢٨٦ .

(٧٢) أصول الإسماعيلية / ١١٧ .

إذ فاته أن يكون أبوه رجلا ذا شأن وخطر (٧٣) ؟

وهكـــذا نستطيع أن نمضى فى المقارنـــة بين مصطلحـــات القرامطة والفاطميين وإخوان الصفا وعقائدهم وأفكارهم وبين مثيلات ذلك عند المتنبى ، ولن نجد تشابها بينه وبينهم • أمـا تشاؤم المتنبى ومرارته ، اللذان يحاول ماسينيون عبثا إرجاعهما إلى أصل قرمطى ، فهما نتاج ظروفه الاجتماعية والنفسية ، فقد نشأ فقيرا يتيما ، وكتبت عليه الغربة زمنا طويلا ، وذاق مرارة الحرمان ، وكان عليه أن يصوغ عقود المديح ويطوق بها أعناق من يراهم دونه فى مواهبه العقلية والنفسية ، ورأى النـــاس يعادونه أينما حل (وإن كان هو أيضا مسؤولا عن هذا بتكبره عليهم وتلذذه بغيظهم منه وعدم المداراة فى كلامه وشعره) • ثم هناك دسائس البلاط عند سيف الدولـــة وكافور ، وتألب الحاتمى وعدد من شعراء بغداد عليه إرضاء للوزير المهلبى ، الذى ترفع عن مدحه • وكذلـــك لا ننس الأوضاع السياسية والاجتماعيـــة المضطربة فى عصره ، والتحلل الأخلاقى السائد ، وكذلك فراره من حلب ومصر خائفا يترقب • وأما إكثاره من ترديد كلمة « الفتى » ، فلا أدرى لم قصرها ماسينيون على الشيعة وحدهم ، مع أن الصوفية قد أكثروا من استخدامهـا فى شعرهم ، وكذلك عرفها العباسيون والمماليك والأتراك ، بل

(٧٣) أو لأنه ليس له أب معروف ، على حسب نظرية د• طـه حسين ، الذى يقول إنه ابن غير شرعى • هذه النظرية التى أخذهـا عن ماسينيون ، كما سوف نرى بعد قليل ، وادعاها لنفسه كعادته •

أن د. أحمد أمين قد رجع بها إلى عصر الجاهلية ؟ (٧٤) وقد رأينا المتنبى يطلقها حتى علي من نكلوا بالقرامطة ، كسيف الدولة ودلير بن لشكروز ، بل أيضا على غلمانه وعلى بعض الروم (٧٥) . كما أنى بالمصادفة وقعت ، وأنا أعد هذا البحث ، على مرثية البحترى فى ابن حميد الطوسى (٧٦) ، فرأيته يطلق عليه لفظة « فتى » خمس مرات . ولم يكن البحترى شيعيا فضلا عن أن يكون قرمطيا . وهذا بعد مجرد مثال عارض .

ومن عجيب ما زعم ماسينيون قوله إن المتنبى رفض التغنى بالخمر أو وصف الجمال الجسدى ، وإرجاعه ذلك إلى التأثير القرمطى . ووجه الغرابة أنه يرجع ذلك إلى تأثيرات قرمطية ولا يرجعها إلى كونه مسلما . وهذا إن صح أنه فعلا رفض التغنى بالخمر وجمال المرأة الجسدى ، فإن له أبياتا كثيرة يصف فيها مفاتن المرأة الجسدية . وقد أوردت شواهد كافية منها فى كتابى « المتنبى ـ دراسة جديدة لحياته وشخصيته » (٧٧) . أما بالنسبة للخمر فإنه ، وإن لم يكن مغرما

---

(٧٤) انظر د. احمد امين / الصعلكة والفتوة فى الإسلام / ١٨ وما بعدها ، ٥٥ ـ ٥٩ ، ٦٦ ـ ٦٧ ، ٧٢ ـ ٧٣ ، ٧٥ ـ ٧٦ .

(٧٥) انظر فصل « الفتى » من كتابى « لغة المتنبى ـ دراسة تحليلية » / ١٠٦ ـ ١١٠ .

(٧٦) هى قصيدة :

كذا فليجل الخطب ، وليفدح الأمر
فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

(٧٧) ص / ٢٠٧ ـ ٢١٠ . وانظر ايضا كتابى « لغة المتنبى ـ دراسة تحليلية » / ٢٢٦ ـ ٢٣٦ ، حيث أوردت عددا غير

بها ، قد شربهـــا فى بعض المناسبات ، وتحـــدث عنها فى بعض شعره (٧٨) • وعلى كل حال ، فالقرامطة ، وإن حرموا النبيذ لم يكونوا يسحبون هذا التحريم على الخمر (٧٩) • كما أنهم قد جعلوا النساء مشاعا بينهم ، ولم يراعوا فى هجومهم على مكة والكوفة وغيرهما من بـــلاد المسلمين لعرض حرمـــة ، إذ كانوا يحلون الزنا واللواط •

أرجو بعد هذ ه الدراسة المستقصية أن تكون هذه السحابة التى أطلق غازها السام الأسود ماسينيون (٨١) (وبلاشير من قبله ، حين جعل المتنبى متأثرا بآراء القرامطة) قد انجابت عن أفق سماء المتنبى •

= قليل من أبياته التى يستعمل فيها الألفاظ العارية فى هجائه ونسيبه على السواء •

(٧٨) انظر المتنبى ـ دراســـة جديدة لحياته وشخصيته / ٢٦٦ ـ ٢٦٨ •

(٧٩) انظر مثلا سعد محمد حسن / المهدية فى الإسلام / ١٧٢ •

(٨٠) انظر « المتنبى ـ دراسة جديدة لحياته وشخصيته » / ٢٠٦ ـ ٢٠٧ •

(٨١) وقد التقط د• طه حسين، كعادته مع نظريات المستشرقين وآرائهم ، هذه النظرية وبسطها فى كتابه « مع المتنبى » ، و د• أحمد أمين فى « الصعلكة والفتوة فى الإسلام » و د• مصطفى الشكعة (وإن مال إلى رأى بلاشير لا إلى رأى ماسينيون) فى كتابه « أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراق »وغيرهم • وانظر كتابى « المتنبى ـ دراسة جديدة لحياته وشخصيته » / ٢٠٠ ـ ٢٢١ ، حيث ناقشت هذه النقطة وتوسعت فى بعض جوانبها اكثر مما فعلت هنا •

على أنه قد بقيت نقطة أخيرة هامة ، وهي أن النظرية التي ادعي فيها د. طه حسين أن المتنبي ابن غير شرعي لأحد القرامطة ، والتي يقول د. مصطفى الشكعة إن الدكتور طه حسين ، حتى بعد أن كتب كتابه عن المتنبي بسنوات طوال ، ظل يفاخر في محاضراته التي كان يلقيها على طلبته في الجامعة (ومنهم د. الشكعة) بأنه أول من توصل إليها ([83]) ، إنما هي مأخوذة من ماسينيون ، إذ قال في عبارة قصيرة عارضة ([84]) : إن المتنبي ينتسب انتسابا غير شرعي (من قبل أمه) إلى الفاطميين ([85]) .

---

(٨٢) عالجت موضوع عقيدة المتنبي بالتفصيل في كتابي « المتنبي ـ دراسة جديدة لحياته وشخصيته » ، وانتهيت بعد الدراسة المتأنية والمستقصية لشعره ، والظروف التي نظمه فيها إلى أنه مسلم عادي ، بلا هرطقات أو انحرافات . انظر الفصل الثالث من الكتاب المذكور / ١٦٥ ـ ٢٢٩ .

(٨٣) انظر د. مصطفى الشكعة / أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين / ٢٢ ـ ٢٣ .

(٨٤) انظر هامش / ١٠ في الترجمة العربية لبحث ماسينيون المنشورة في هذا الكتاب .

(٨٥) كما ترى ، لم يفصل ماسينيون القول في ذلك ، ولا ذكر على أي أساس أقام هذا الحكم ، ولا إلى أي مرجع استند . وبالتالي فلا أستطيع أن أناقش هذا الرأي الغريب . ومع ذلك فقد بينت تهافت نظرية طه حسين ، وذلك في كتابي « المتنبي ـ دراسة جديدة لحياته وشخصيته » (في الفصل الأول الخاص بنسب الشاعر) .

(٨٦) انظر كتابه « مع المتنبي » / ١١ ـ ٢٥) .

(٨٧) هذا ، وليس هنا موضع الرد على هذه التهمة فقد عالجت ذلك في كتابي « المتنبي ـ دراسة جديدة لحياته وشخصيته / ٩ ـ ٢٧ .

فأخذ الدكتور طه هذه العبارة وكبرها وفصلها وحور فيها ليصبح المتنبى فى نهاية المطاف عنده ابن سفاح لأحد جنود القرامطة الذين هجموا على الكوفة (٨٦) لقد أصــدر ماسينيون بحثـه هذا قبل كتاب الدكتــور طــه « مــع المتنبى » ، وكان هــذا البحث أحد المراجع التى رجع إليها طه حسين . وقد كان أيضا صديقا حميما لذلك المستشرق الفرنسى ومعجبا به وبما يكتبه ، شأنه مع كل المستشرقين تقريبا . ثم إنه قد كتب كتابه ذاك وهو يقضى الصيف كعادته فى فرنسا ، أى قريبا من ماسينيون (٨٨) !

هذا ، وبالله التوفيــق ؟

---

(٨٨) مرة أخرى ، أرجو أن يراجع القارىء الفصــل الذى تحدث فيه الصحفى اللبنانى أسكندر الرياشى (فى كتابه « رؤساء لبنان كما عرفتهم ») عن الدور القذر الذى قام به ماسينيون فى بلاد الشام للتمكين للاستعمار الفرنسى فى هذه البقعة من بلادنا العربية الإسلامية ، وصندوق الأموال الذى كان معه للإنفاق منه على هــذه الغاية ، وهى طبعا أموال المسلمين اغتصبها منهـم الفرنسيون . والفصــل عنــوانه « عندما فتــح الفرنسيون صناديق الذهب » (ص ٢١١ ــ ٢٥٤) . ومن العناوين الفرعية فى هذا الفصل : « الصندوقجى كان اسمه « ماسينيون ! » ، و « مر بطريقك على الكابتن ماسينيون » . وهما عنوانان لهما دلالتهما . كذلك أرجو أن يرجع القارىء الكريم إلى ما ذكره مالك بن نبى عن هذا المستشرق، فى مذكراته المسماة « مذكرات شاهد القرن » . وسوف يعرف حقيقة ذلك الرجل ، الذى يعجب به ويثنى عليه بعض منا . إننى أعرف أن هناك مناطق زلقة يؤذى من يقترب منها ، بيد أن الباحث الذى يؤمن بربه ويحب وطنه لا يبالى ويحتسب ما يصيبه من أذى عنــد الله ، ولعله سبحانه يرضى ، فما عند البشر ينفد ، وما عند الله باق ، وحسبنا الله ونعم الوكيل !

مراجــــع الدراســــة

- د· إبراهيم عوض / لغة المتنبي ـ دراسة تحليلية / مطبعــة الشباب الحر ومكتبتها / ١٩٨٧ ·
- د· إبراهيم عوض / المتنبي ـ دراســــة جديــــدة لحيـــاته وشخصيته / ١٩٨٧ ·
- إخــــوان الصـــــفا / رسائل إخـــوان الصفا (هـ / ٣ ، ٤) (تصحيح : خير الدين الزركلي) / المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة / ١٩٢٨ ·
- إسكندر الرياشي / رؤساء لبنان كما عرفتهـــم / منشورات المكتب التجاري / بيروت / ١٩٦١ ·
- إميليو غرسيه غومث / مع شعراء الأندلس والمتنبي ـ سير ودراسات (ترجمة : د· الطاهر احمـــــد مكي) / ط ٣ دار المعارف / ١٩٨٣ ·
- البديعي / الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (تحقيق : مصطفى السقا ، ومحمد شتا ، وعبده زيادة عبده) / ط ٢ / دار المعـــارف ·
- برنارد لويس / أصول الإسماعيلية (ترجمة : خليـــل احمـــد جالو ، وجاسم محمد الرجب) / منشـــورات مكتبـــة المثنى ببغـــداد ·
- بطرس البستاني / محيط المحيط / بيروت ١٨٧٠م (١٢٨٦ هـ) ·
- الجلالين (تفسير ، بحاشية الصاوي) (هـ/١) / المكتبــة التجارية الكبرى / القاهرة / ١٩٣٨ ·

● الحاتمى / الرسالة الحاتمية (فى ذيل « الإبانة عن سرقات المتنبى » للعميدى ، بتقديم وتحقيق وشرح إبراهيم الدسوقى البساطى) / دار المعارف بمصر / ١٩٦١ ·

● الحاتمى / الرسالة الموضحة (تحقيق : د· محمد يوسف نجم) / دار صادر ودار بيروت / ١٩٦٥ ·

● دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) (مجلد ٢ ، ٣) ·

● الداعى ثقة الإمام علم الإسلام / المجالس المستنصرية (تحقيق: د· محمد كامل حسين) / ط ١ / دار الفكر العربى ·

● سعد محمد حسن / المهدية فى الإسلام منذ أقدم العصور حتى اليوم / دار الكتاب العربى بمصر / ١٩٥٣ ·

● الطبرسى (تفسير) (المجلد / ٢ ، ٤) / منشورات دار مكتبة الحياة / بيروت ·

● د· طه حسين / مع المتنبى / دار المعارف / ط ١١ · ط ١١ ·

● عارف تامر / القرامطة / دار الكاتب العربى ببيروت ومكتبة النهضة ببغداد ·

● عبد الحميد حسن / صفحات من الأدب المصرى من العصر الفاطمى إلى النهضة الحديثة / ط ١ / دار الفكر العربى ·

● العكبرى / التبيان فى شرح الديوان (ضبطه وصححه ووضع فهارسه : مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى) (٤ أجزاء) / مصطفى البابى الحلبى / ١٩٧١ ·

● الفيروزابادى / القاموس المحيط ·

● القاشانى / اصطلاحات الصوفية (تحقيق وتعليق د· محمد

كمال إبراهيم جعفر) / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٨١ ·

- المتنبى (ديوان) (مجلد واحد مطبوع طباعة حديثة ، لكنه غفل من اسم الناشر ومن التاريخ) ·
- د· محمد كامل حسين / الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربى حتى آخر الدولة الفاطمية / سلسلة « الألف كتاب » / مكتبة النهضة المصرية ·
- محمود شاكر / المتنبى / السفر الثانى / مطبعة المدنى / القاهرة / ١٩٧٧ ·
- (الإمام) المستنصر بالله أمير المؤمنين / السجلات المستنصرية (تقديم وتحقيق : د· عبد المنعم ماجد) / دار الفكر العربى / ١٩٥٤ ·
- د· مصطفى الشكعة / أبو الطيب المتنبى فى مصر والعراقين / عالم الكتب / بيروت / ١٩٨٣ (١٤٠٣ هـ) ·
- مصطفى غالب / تاريخ الدعوة الإسماعيلية منذ أقدم العصور حتى عصرنا الحاضر / دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بسورية ·
- المقريزى / اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا (نشر وتحقيق : د· جمال الدين الشيال) / دار الفكر العربى / ١٩٤٨ ·
- (أبو على) منصور العزيزى الجوذرى / سيرة الأستاذ جوذر (تقديم وتحقيق : د· محمد كامل حسين ، و د· محمد عبد الهادى شعيرة) / دار الفكر العربى ·
- ابن منظور / لسان العرب ·

- المؤيد فى الدين داعى الدعاة / ديوان المؤيد فى الدين (تقديم وتحقيق : محمد كامل حسين) / دار الكاتب المصرى / ١٩٤٩ ٠

- المؤيد فى الدين داعى الدعاة / سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة (تقديم وتحقيق : محمد كامل حسين) / دار الكاتب المصرى / ١٩٤٩ ٠

- المؤيد فى الدين الشيرازى / المجالس المؤيدية (تلخيص : حاتم بن إبراهيم ، وتحقيق : د٠ محمد عبد القادر عبد الناصر) / دار الثقافة للطباعة والنشر / القاهرة / ١٩٧٥ ٠

- (القاضى) النعمان بن محمد المغربى / كتاب الهمة فى آداب اتباع الأئمة (نشر وتحقيق : د٠ محمد كامل حسين) / دار الفكر العربى ٠

- (القاضى) النعمان بن محمد / دعائم الإسلام (حـ/١) (تحقيق : أصف بن على أصغر فيضى) / دار المعارف بمصر/ ١٩٥١ ٠

- النيسابورى (تفسير – على هامش تفسير الطبرى) (حـ/٣)/ المطبعة الميمنية بمصر ٠

- النووى / مراح لبيد (تفسير) (حـ/١) / عيسى البابى الحلبى ٠

مع تحيات أ. علاء الدين شوقى